نثار الغريب

مجموعة شعرية



د. حسّان أحمد قَمْحيّة



نِثارُ الغَريب





Kitabın Adı : Nisâru'l-Ğarîb
Yazar : Hasan Ahmed Kamhiyye

1. Baskı : Mayıs 2022 ANKARA

Yayın Yönetmeni : Sinem ZORLU
ISBN : 978 - 625 - 8379 - 75 - 4
Yayın No. : 1580

SONÇAĞ AKADEMİ

İstanbul Cad. İstanbul Çarşısı No.: 48/49 İskitler 06070 ANKARA

T / (312) 341 36 67 - GSM / (533) 093 78 64

www.soncagyayincilik.com.tr

soncagyayincilik@gmail.com

Yayıncı Sertifika Numarası: 47865

BASKI VE CİLT MERKEZİ



UZUN DİJİTAL MATBAA, SONÇAĞ YAYINCILIK MATBAACILIK TESCİLLİ MARKASIDIR.

İstanbul Cad. İstanbul Çarşısı No.: 48/48 İskitler 06070 ANKARA

T / (312) 341 36 67

www.uzundijital.com

uzun@uzundijital.com

نِثارُ الغَريب

مَجْموعة شِعريَّة

د. حسّان أحمد قَمْحيَّة



الطبعة الأولى – 2022 م

مقدّمة

لا يزال الشعرُ أجملَ فنون الأدب عندَ العرب، وأشدّها وقعًا على النفوس وتأثيرًا فـي القلوب والأفئدة. وهو عندهم خيالٌ وتوثيق، وصورٌ وتاريخ، وتحليقُ وواقع، يرعى مناشطَهم ويسجّل أحوالهم ووقائعَهم، وينبض بمفردات حياتهم. يأتـي تأثّرًا، فيُقيل عاطفةً ويبعث موقفًا، وتتشابه الـمواقفُ فيبرز تكرارًا على الألسنة، ويُبعَث من جديد وإن طال عليه الأمد. وهو – بلا شكّ – أحدُ مصادر الـمَعْرفة عندَ العرب، بل هو ديوانهم الكبير. وبذلك، فإنّ على الشعر أن يجسِّد حالةَ الوعي لدى الـمجتمع الذي ينشأ فيه، وهو يقوم بهذا الدور عادةً، ممّا يؤهّله لأن يصوّر لنا الـماضي، ويقرأ الحاضر، ويستشرف الـمستقبل.

لقد طاف باعثُ الشعر بـي، فنشأت منه قصائدُ ليس لها عنوانٌ واحد، هي ذات عناوين متعدّدة لا تجمعها إلّا الغربةُ بكلّ مـا فيها من تباريح ومضامين، جاءت مـن هنا وهناك، ما بين شوقٍ وحنين، وحزن وفرح، ولـهفة وانكفاء، وانفعالٍ وواقع، واندفاع ورويّة، وعُزُوف وإنابة، فارتسمت على ورق واكتست حليةَ الكلام، وعانقت دنيا العيان، فكانت «نِثار الغريب».

نظمتُ هذه القصائد والأبيات من الشعر خلال سنوات ممتدّة من الغُرْبَة، ولذلك قد تتفاوت الآراء فيها بحسب تطوّر التجربة الشعريّة لديّ، ولكنّني أحببتُ أن أنشرها جميعًا لأنّها تعبّر عن تاريخ تلك الغربة وتوثّقه في هذه الـمرحلة الـمخصوصة من العمر. ويطيب لي فـي هذا السياق أن أشيرَ إلى أنّ ارتحالَ الكاتب أو الأديب أو الشاعر إلى أماكنَ أخرى بعيدًا عن وطنه يمثّل نقلةً جديدة كفيلة بتعرُّفه إلى بيئة مُغايِرة وثقافة جديدة، وهذا ما يفتح

أمامَه آفاقًا مُسْتجدَّة ربَّما تُمْلي عليه أن يكتبَ عن أشياء لـم يكتبْ عنها من قبلُ. كما قد يؤدِّي ذلك إلى مقابلتِه واستماعه لأدباء وكتَّاب آخرين فـي ذلك الـمكان الجديد، فتَتَلاقح الأفكارُ مع بعضها بعضًا، وتُنْتِج مواليدَ أدبيَّة أخرى مختلفة عن تلك التي عرفها الأديبُ الـمُغترِب قبلَ ذلك فـي بلاده. وإذا كان لي أن أضربَ مثالًا على ذلك أقول: هذا بالضبط ما حدث مع أدباء الـمَهْجر الأمريكي قبلَ نحو مائة سنة أو يزيد، حيث اطلعوا على ثقافات البلاد التي هاجروا إليها، فمَزجوا ما بين مـخزونهم الثقافـي الوطني ومـا رأوه وعايَنوه وسمِعوه وقَرؤوه فـي البلاد الجديدة. وقد أنتجَ هـذا وذاك أدبًا رفيعًا سُمِّي «أدبَ الـمَهْجر»، فشكـَّل محطةً بارزةً ومتميِّزة ومختلفة فـي تاريخ الأدب العربـي.

من الـمفترَض أن يَسْتَنهضَ الاغترابُ رؤًى جديدة عند الأديب والشاعر؛ فإن لم يتأثَّر الكاتبُ بالثقافة الجديدة التي ينطوي عليه الـمكانُ أو الوطن الجديد أو الأفق الـمستجدّ، وبقيَ فـي مَعْزِلٍ عن أدبائه وكتَّابه، وثقافته وأفكاره، فلا أقلَّ من أنَّ تُثِير حالةُ الغربة نفسها نوازعَ خافية وأفكارًا كامنة عندَ الكاتب على أقلّ تقدير. والشاعرُ - على سبيل الـمثال - هو ابنُ محيطه، وابنُ الحالة الانفعاليَّة التي يُقذَف فيها أو تُفرَض عليه، وإلَّا لـما كان شاعرًا. وهل هناك أكثر من تبعاتِ الغربة والبعد والحنين والشَّوْق عواملُ مهمَّة تؤثِّر فـي الكاتب والشاعر، فتولِّد لديهما نزعةَ الكتابة والرغبة بالتعبير عن خَوالِج النفس الفائضة ومشاعرها الـمتأجِّجة!؟ ولذلك، فالاغترابُ يأتـي بأمرين كَفيلين بتحفيز الكاتب واستثارة ميوله نحوَ الكتابة الـمختلفة: الأوَّل حالةُ الغربة وما تنطوي عليه من انبعاثِ الذكريَات وما يصاحبها من الاشتِياق والحنين؛ والثانـي الـمحيطُ الجديد وما يكتنفه من ثقافةٍ وأفكار وأجواء لم تكن

فـي الوطن الأصلي للكاتب أو الأديب.

لا يكـون الكاتبُ كاتبًا حقًّا، وكذا الشـاعر والأديب، إن أخذته الغربةُ بعيدًا عن قضايا وطنه وأهله وأمَّته، إلَّا إذا ذاب فـي الـمكان الجديد وفقدَ انتماءه. بل على العكس، ربَّما زاد الاغترابُ من جرعة الحبِّ والتعلُّق لدى كلِّ هؤلاء تجاه الأرض والناس فـي الوطن الأصلي للأديب. ولذلك، نجد الكثيرَ من الأدباء الـمغتربين قد جاؤوا بنَفيس الأدب والشعر بعدَ اغترابهم، بل ربَّما ارتقى مستوى ما يكتبون وينظمون من الشِّعْر بعدَ ابتعادهم عن ديارهم ومرابعِ طُفولتهم وصِباهم. كما أبدعَ الكثيرُ منهم فـي الكتابة عن الوطن والأرض ومراتع الشباب والرِّفاق والأمّ والأسرة.

هناك موضوعاتٌ أو أغراض فـي الشعر والأدب كانت أرقى سُلَّمًا وأقوى سبكًا وأَعْذب فنًّا لدى الـمُغْتربين؛ وما كانوا قادرين على أن يُبْدِعوا مثلَها لو بقوا فـي أوطانهم الأصليَّة؛ فالحنينُ إلى الوطن لا يكون إلّا بالبعد عنه، والاشتياقُ إلى الأمّ كأُمثولة لا يكون إلَّا بالاغتراب عنها، وقِسْ على ذلك. ومهما تقمَّص الأديبُ تلك الحالات الشعوريَّة، وهو قريب، لا يمكن أن يَأْتـي بأدبٍ يماثل نظيرَه الأدبـي عندَ الـمُغْتَرب، حيث تغيب عنه الدفقةُ العاطفيَّة الحقيقيَّة الزاخرة التي تعتري ذاك الأخير.

إنَّ مخالطةَ مجتمعاتٍ مختلفة عن مجتمع الأديب، سواءٌ بسبب الاغتراب أو رحلات السفر الـمؤقَّتة أو الـمُلْتقيات والـمؤتمرات الأدبيَّة، تعود - بلا شكّ - على الأديب بأفكارٍ مختلفة عمَّا ألفه وعايشه فـي وطنه الأمِّ، وبين أقرانه فـي البلد الواحد. ويتجلَّى ذلك عندَ قراءة أدب

أولئك الذي اطلعوا على أفكار الآخرين ونتاجهم الأدبـي وكتاباتهم. وقد لاحظتُ ذلك بوضوح عندَ بعض أدباء الـمهجر الأمريكي الذين تشبَّعوا من الأدب الإنكليزي، مثل الأديبَيْن الـمَهْجريين جميل حلوة وبَدْري فَرْكوح، حتى إنَّ الأخير نظمَ عشرات القصائد باللغة الإنكليزيَّة بعدَ أن تمرَّس فيها. وبناءً على ذلك، أدعو الأدباءَ والشعراء إلى تجنُّب الاكتفاء بقراءة الأدب الـذي يشـبههم، والـمضيِّ قُدُمًا نحو الاطلاع علـى دُرَر الأدب العالـمي، كي يزيدوا من رصيدَهم الـمَعْرفـي والفكري ما أمكنهم ذلك.

وبالعودة إلى الديوان، أقول: لقد جاءت بعضُ الأبيات فـي هذا الديوان على سبيل النظم لتكونَ أناشيد دينيّة، وسعيتُ فيها إلى تبسيط الجُمَل والصور والـمعانـي لتبدو سهلةَ الوصول، قريبةَ الـمَنال. وقد أنشد تلك الـمقطوعاتِ بعضُ الـمُنْشِدين.

وأخيرًا، لابدّ من الإشارة إلى أنّ بعضَ الـمقدّمات التي سبقت قصائدَ الديوان ومُقطّعاته جاءت من وحي خواطر قرأتُها أو قصص طافت بـي وحرّكت فـي مخيّلتي ما ينوب عنها، فأطلقت القلمَ لينثرَ بلغتي ما تركت فـي الخاطر والوجدان.

والحمد لله ربّ العالـمين على مَنّه وإحسانه.

د. حسّان أحمد قمحيّة

الرياض، أيّار/ مايو ٢٠٢٢ م



أعْلَنْتُ شَوْقي

يطارِحُ الشوقُ أبناءَه، ويَمْهرهم بملامحه، ويصهرهم في بَوْتقته، فيبثّون تَباريحَه، وينشقون من نسيمه حدَّ الرّواء. والشوقُ يبقي الذكريات على قيد الحياة، ويمدّها بأسباب الخلود، فمن دونه تذوب وتتلاشى.

هناكَ، على ضِفافِ البُعْدِ أَغْفُو   ولكنْ كيفَ تَغْفُو عَيْنُ شَوْقي!؟

أُسَكِّنُها فتَأْبى بِي انْطِفاءً   وتَحْرقُنِي إلى أَعْماقِ عُمْقِ

يُغالِبُني الحَنِينُ فأَصْطَفِيهِ اصْـ   ـطِفاءَ الخِلِّ في أيَّامِ عِشْقِ

أَبُثُّ إِلَيْهِ آهاتٍ بقَلْبي   فيَدْعُوني إلى نَوْحاتِ وُرْقِ

ويَسْأَلُني مَزيدًا مِنْ نُواحٍ   عَجِيبٌ كَيْف يَدْعُوني لِيُشْقي!

***

عَصِيبٌ أَنْ أُنادي تُرْبَ شامٍ   فلا أَلْقى جَوابًا مِنْ دِمَشْقِ

أَلا مِنْ مِزْقةٍ أَسْتافُ فِيها   عَبِيرَ القُرْبِ مِنْ شِدْقٍ لِشِدْقِ

أَلا مِنْ عارضٍ يَأْتي لِماما   أُذيعُ لأَجْلِهِ صَمْتِي ونُطْقي

أَلا مِنْ لَمْحَةٍ تَرْتادُ أُفْقي   وكَمْ مِنْ لَمْحَةٍ تَحْلُو لأُفْقِ!

أَلا مِـــــنْ عــــابقٍ يُــــدْنُو فـــأَرْقى عـــلى أَعْتابِـــهِ مـــا فَـــوْقَ فَـــوْقِ

***

تَمُـــــرُّ عـــــليَّ أَيَّـــامي وتَعْـــدُو فـــلا أَقْتـــاتُ إِلّا ضِـــيقَ عِرْقـــي

أَقـــصُّ عـــلى أُوَيْقاتـــي حَـــديثًا أُرتِّـــقُ فيـــهِ فَتْقًـــا بَعْـــدَ فَتْـــقِ

ومـــا لـــي عَـــنْ سِـــواهُ غـــيرُ ذِكْـــرى هـــي الـــذِّكْرَى عـــلى الأَحْـــلامِ تُبْقـــي

هـــي الـــذِّكْرَى حَيـــاةٌ فـــي اغْـــتِرابٍ وطِـــبٌّ مِـــنْ جِـــراحِ البُعْـــدِ يُرْقـــي

فَنـــامي يـــا لَيَـــالي الشَّـــوْقِ إنِّـــي إلى شَـــامِ الهـــوى أَعْلَنْـــتُ شَـــوْقي



مِحْرابـي

ربَّما يختار الغَريبُ العزلةَ عن الناس في زمنٍ يطيبُ لبعضهم أن يسمِّيه «زمن التفاهة»، أو زمن صناعة التَّفاهة؛ فهل هو حقًّا كذلك؟ الناظرُ في أحوال الدنيا اليوم، وما آلت إليه من رفعٍ لخفيض وخفضٍ لرفيع، واحتفاءٍ بالدَّنايا ونُفور من القِيَم والـمبادئ والـمُثُل، وإجحافٍ بمقام أهل العلم والأدب الرَّصين واهتمامٍ وتَكْريم لأهل السَّذاجة والقُبْح، قد يجد مسوِّغًا لتلك التسمية.

كَبُرْتُ وما عادَ لي شَغَفُ ... بِما اتَّفَقَ الناسُ واخْتَلَفُوا

وصارَ لِرُوحي طُمَأْنِينَةٌ ... بمِحْرابِها بِتُّ أَعْتكِفُ

وصادَقْتُ أَسْفارَ مَكْتَبَتي ... فَلِي في أَحاديثِها شَرَفُ

أَبُثُّ خَواطِرَ نَفْسي لها ... وتَمْنَحُني دِفْئَها الصُّحُفُ

إلى غَيْرِ هذا الخَنا أَنْتَمي ... وحِبْرِي على غيرِه يَكِفُ

سَبِيلي أَخُطُّ بيارِقَهُ ... وخارِطَتي لِلعُلا هَدَفُ



قَوافِلُ الحُزْن



أرضي يا أختَ التراب والدَّم والدين، صبرًا على طعن الـمقرّبين وخذلانهم، صبرًا على وعودٍ جَوْفاء، اندثر فيها الحلمُ واشرأبّ القَهْرُ والألـم، فالوعدُ وعدُ السّماء وعدلُ ربّ العباد، عندئذٍ تُسرّ قلوبُ الـمُسْتَضْعفين.

الحَمْـــدُ للهِ، لا شَـــكْوَى ولا حَسَــدُ ... قَوافِـلُ الحُــزْنِ فــي أيَّامِنــا قِــدَدُ

أُنْشــودَةٌ عُزِفَــتْ مِــنْ كُــلِّ نائبــةٍ ... مــاذا سـيَلْقَى عــلى إيقاعِهــا الجَســدُ!؟

كـــأنَّما بَيْنَنـــا حِلْـــفٌ نُجَـــدِّدُهُ ... ألَّا يُغادِرَنـــا هَــــمٌّ ولا كَبَـــدُ

نَصْــحُو عـــلى أَمَــلٍ يَقْتاتُـــهُ أَلَـــمٌ ... وعَيْشُــنا فــي طَريــقِ الــمَوْتِ يَجْتَهِــدُ

جَفَّــتْ دُمــوعُ اللَّظــى في عَــيْنِ مُفْتَقِــدٍ ... فكَيْــف يَبْكــي بِــما يَلْقــاهُ مُفْتَقِــدُ!؟

يــا حَــرَّ نــارٍ نِيَــاطُ القَلْــبِ يَعْرِفُهــا ... مــاذا تَبَقَّــى لِعُمْــرٍ مــا لَــهُ مَــدَدُ؟

قــالُوا: سيَمْضـــي زَمــانٌ كَــلَّ ناجِــذُهُ ... طــالَ الزَّمــانُ ومــا فُتَّــتْ لَــهُ عَضُــدُ

وشــابَ فَــوْدُ الرَّجــا عَــنْ كُــلِّ أُمْنِيَــةٍ ... لَيْــتَ الأَمانـــي عــلى دَرْبِ الشَّــقا تَلِــدُ

***

يــا خَيْمــةً فـــي بِــلادِ العُــرْبِ صــامِدَةً يَمُـــــدُّها أَمَـــدٌ فـــــي إِثْـــرِهِ أَمَـــدُ
أَوْتادُهـــا فـــي قِفـــارِ البُــؤْسِ راتِعَـــةٌ وحُلْمُهـــا فـــي جَحـيمِ اللَّيْــلِ مُفْتَقَــدُ
لا الشَّـــمْسُ تَعْهــدُها بالــدِّفْءِ حانِيــةً ولا الصَّـــقِيعُ عَـــنِ الأَطْفـــالِ يَبْتعِـــدُ
مَـــنْ ذا يُــداوي شَـــقاءً عَـــزَّ ماثِلُـــهُ وعَـــيْنَ أَرْمَلـــةٍ فـــي الــبَرْدِ تَرْتَعِـــدُ

***

يــا خَيْمَـــةً شَـــهِدَتْ خُـــذْلانَ أُمَّتِنـــا وُعُودُهـــا زَبَـــدٌ مـــا بَعْـــدَهُ زَبَـــدُ
رَصــيدُنا عِنْـــدَ إِخْـــوانٍ لَنـــا عَـــدَمٌ ومِـــنْهمُ مَـــنْ يُنادينـــا: أَنِ اقْتَصِـــدوا
مـــاذا لـــدَيْنا لكَـــي يَبْقَـــى لِوَارِثِـــهِ إِلَّا البُكـــاءُ وعَـــيْشٌ كُلُّـــهُ نَكَـــدُ
عـــارٌ علَيْنـــا إذا بِتْنـــا عـــلى فُـــرُشٍ وابــنُ الشَّــآمِ بِعــاري الأَرْضِ يَلْتَحِــدُ
خَيْبـــاتُ ظَنِّـــي تِـــلالٌ لا حُــدودَ لهـــا كـــأَنَّما فـــي سَـــبيلِ الخِـــزْيِ نَتَّحِـــدُ



لَوْعَةٌ وانْكِسار

أحبّته بكلّ ذرّة من كيانها، بادلها بعضَ المشاعر؛ بَنَت قصورًا من الحبّ والدفء والرقّة، فإذا به يتنكّر لنداء قلبها. أَخْفَت في نفسها ما كانت تُبْديه، سحقَتْ روحَها تحت وطأة الهَجْر، كانت هشّة رغم ما تدّعيه من صلابة وتماسك. ولكن، رغم هشاشتها أمام لهفة فؤادها، أدركت أنَ بعضَ الحبّ رحيلٌ وكرامة.

جاءَتْ تَئِنُّ، وكُنْتُ أَسْمعُ صَوْتَها: … أَيْنَ الوَفاءُ ووَعْدُنا يا غادِرُ؟

قالَ: اسْمَعيني يا «سُعادُ» لَعلَّني … أَتْلُو عليكِ مَعاذِري، وأُغادِرُ

قالَتْ: كَفاني ما رأيتُ، فلا تَزِدْ … جُرْحُ الخِيانَةِ في كِياني غائرُ

نُورٌ بعُمْري قَدْ طَفَأْتَ وَهيجَهُ … فشَجا فُؤادي في الظلامِ مُهاجِرُ

أَمَلي تَيَتَّمَ قَبْلَ مَوْلِدِ فَجْرِهِ … وعلى رُفاتِ الحُلْمِ حَظِّي عاثِرُ

فيهِ رَسَمْتُ مَلاءةً مِنْ زَهْرِهِ … وسَقَيْتُها، لكنَّ غَيْثَكَ عاقِرُ

***

اللَّيْـــلُ يَأْتـــي بالسُّـــهادِ ودَمْعَتـــي ومِـــدادُ بَـــوْحِي بالفَجيعَـــةِ زاخِـــرُ
وتَمُـــرُّ أيَّـــامي أَذوبُ صَـــبابةً لكـــنَّ خِـــلِّي فـــي الـــدَّناءَةِ سـادِرُ
يـــا خَيْبَـــةً مـــا كنـــتُ أُدْرِكُ وَقْعَهـــا حتَّـــى رَمانـــي بالصَّـــوارِفِ نـــاكِرُ
أَدْركـــتُ بَعْـــدَ وَقيعَتـــي فـــي صَـــيْدِهِ أنَّ الوَفـــاءَ عـــلى البَســـيطَةِ نـــادِرُ



فـي خَيَالـي



فـي هدوءِ الليل، والناسُ نيام، قلوبٌ ساهِرة تبتغي رفعةً ومقامًا، تُوقِن بأنّ تحقيقَ حلمها لا يكون إلّا بهجر النوم، تتّجه إلى خالقها فـي عتمة الظلام، تتذلّل بين يديه، تسأله علمًا نافعًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وأدبًا رفيعًا، عَلّها تترك الأثرَ الوارِف على الدوام.

كَمْ سُؤالٍ في خَيالي لا يُقالْ!   فَاتْرُكوني إنَّ أُنْسي في الخَيالْ
لَسْتَ منِّي يا فُؤادي إِنْ تَبُحْ   اِتَّفَقْنا أن نَبُزَّ الاِنْفِعالْ
في سُكونِ اللَّيْلِ أَلْقى صَفْوَتي   أَنْتَقي مِنْها أَقانيمَ الكَمالْ
لا أُعيرُ الهمَّ فِكْرًا شارِدًا   أَزْدَريهِ بدُعائي ذا الجَلالْ
أُعْمِلُ الإِفْصاحَ في سِفْرِ المُنَى   ليسَ في سِفْرِ الأَماني مِنْ مُحالْ
ويَقِيني ليسَ يَعْروهُ مَدًى   كُلُّ طَوْدٍ أَرْتَقيهِ بالنِّزالْ
عُدَّتي عَزْمٌ وعَزْمي خائِضٌ   بَحْرَ عِلْمٍ لَمْ يُعَكَّرْ بالهُزالْ
يا هَناءً خالطَ القَلْبَ سَنا   في لَيالٍ يَسْتَقي مِنْها الجَمالْ

بــــينَ طِـــــرْسٍ ويَـــــراعٍ ومُنًـــــى وافْتِكـــــارٍ واشْـــــتِغالٍ وانْعِـــــزالْ

***

اكْتُبينـــــي يـــــا لَيالـــــي باحِثًـــــا لا يُبالـــــي بالعَوالـــــي والنِّصـــــالْ

فـــــي دَراري الفِكْـــــرِ أَمْضـــــي هانِئًـــــا إنَّ أهـــــلَ الفِكْـــــرِ عِنْـــــدي كالجِبـــــالْ

يَنْقضـــــي العُمْـــــرُ ويَبْقـــــى خالِـــــدًا مـــــا أَفـــــادوا، لا يَـــــزولُ أو يُـــــزالْ



الصَّمْتُ مِنْ بَعْض الفُنُون



فـي لحظةٍ يجتاحه الحبّ فيها يتدثّر بسكون الليل، ليخفيَ ذلك الضجيجَ فـي ظلٍّ من عالم آخر، يعاتب صَفِيّه، يُدنيه، يُبْعده، لكن لا يغادره، بل يعود لاحتضانه واسترضائه؛ فليلُه عالـمٌ آخر يبتدئ وينتهي ربيعُه فيه، وينام على أمل أن يَصْحو على حاضرٍ يحتويه.

لا شــأنَ لي، قَلْبــي تَخَــيَّر أن تَكُونـــي ... يــومَ الضَّــجيجِ، ووَخْــزِهِ، سِرَّ السُّــكونِ

فَــدَعي الغِيَــابِ، وأَقْــبلي نَحْــوَ اللِّقــا ... يُحْيِي حُضُــورُكِ لَهْـفَ قَلْبي فــي عُيونــي

يَنْتــابُني صَـــمْتٌ إذا طـــافَ الجَـــما ... لُ بسَاحَتي، والصَّمْتُ مِنْ بعضِ الفُنُونِ

مــاذا دَهانـــي؟ نَـبْضُ صَـدْري واجِـفٌ ... أَمْ خــائِفٌ، أَم ســالِكٌ نَـزَقَ الجُنُــونِ!؟

قلــتُ الرَّبيــعُ أَتـــى، ولكِـــنَّ الرَّبيـــ ... ـــعَ بِـــبُرْدِهِ وهُدوئِـــهِ لا يَحْتَـــويني

نـــارٌ وبَـــردٌ، لا يَـــبَرُّ بـــيَ الشُّـــعُو ... رُ، أَهَكَذا، يـا شـاغِلِي، تَمْضـي شُؤونــي!؟

الحَـــيْرَةُ الخَرْقـــاءُ قَضَّـــتْ مَضْـــجَعي ... مـا شَـأْنُها؟ قلـتُ: اسـأَلُوها، واخْبِرُونــي

عِنْـــدي يَقـــينٌ بـــالفؤادِ إذا هَـــوَى ... ويَقـــينُ غَـــيْري لا أراهُ كَـــما يَقينـــي

مِـنْ قَبْـلُ مـا كـانَ الهَـوَى يَرْعـى فُـؤادي قـالوا: لِـماذا؟ قلـتُ: كَـيْما تَحْرِمُونـي

***

ومَضَـى الزمـانُ، وكنـتُ أرقـبُ مـا بـهِ شـاغَلْتُه، وشَـكوتُهُ مـا يَشْـتكيني

وعَتَبْـتُ حتَّـى لا عِتـابَ يُقيلنـي فَتركتُـهُ، فـإذا عَتبـتُ فَذَكِّرونـي

أنـا لا أُعـيرُ لعـابرٍ مـا فـي النُّهـى كَيْ أُمْسِـكَ السِّـرَّ الـذي يَحْمِي ظُنُونـي

***

يـا رحلـةً فـي العُمْـرِ أَرْخـى رَحْلُهـا شـابَتْ ذَوائبُهـا عـلى مَـرِّ السِّـنينِ

سـنُودِّعُ الأَحْـلامَ، نُغْلـقُ بابَهـا فعَسـى نراهـا فـي أَمانِـيِّ البَنـين



مُنْتَهى دَرْب الحَياة



يَمْضي الزمان، وتمضي فـي مَساقِه مراحلُ العمر، ما بين قوّةٍ ومَنعَة وضعف ووهن. ويطوفُ بالنفس فـي خضمِّ ذلك خواطرُ ورؤًى، تختلف باختلاف تتابع سِنِّي العمر؛ فما كان مرغوبًا يصير بلا لهفة ولا اهتمام، وما كان ذا شغف يُمْسي حلمًا وذكرى، وهذه سُنّةُ الحياة فينا، لا تحولُ ولا تزول.

ظَمِئْتُ إلى زَمانٍ كُنْتُ فيهِ ... خَلِيَّ البالِ، مُمْتَنِعَ الشَّكاةِ
تُمازِجُني ابْتِهالاتُ الحَيارَى ... وتَرْسُمُني تَرانِيمُ الهُداةِ
يُطالِعُني الصَّباحُ بنَسْمِ بِشْرٍ ... كأَنْسامِ الخُشُوعِ معَ الصَّلاةِ
نَهاري باسِمٌ لا مُرَّ فيهِ ... ولَيْلي ساكِنٌ مِثْلَ الفَلاةِ
ومِنْ حَوْلي نُفُوسٌ زاكِياتٌ ... أُداري حُسْنَها مِنْ كُلِّ عاتِ

***

ظَمِئْتُ إلى زمانِ الحُبِّ وَلَّى ... يَتيهُ بِدَلِّهِ مثلَ البَناتِ
إلى عَفْويَّةٍ فاضَتْ نَقاءً ... وصِدْقُ الفِعْلِ مِنْ أَرْقَى الصِّفاتِ
ولكنْ، عَهْدُنا المَمْلُوءُ زَهْرًا ... تَوَلَّى مُجْدِبًا قَفْرَ النَّباتِ

فَتُهْنــا فـــي فِجــاحِ العُمْـــرِ نَشْـــكُو شَـــظِيفَ العَـــيْشِ، مَسْـــنُونَ الشَّـــباةِ

وصِرْنـــا كاليَتــــامى رَهْـــــنَ دَفْــــعٍ يُرَوِّعُنـــــا هَـــــديرُ النَّائِبـــــاتِ

***

هِـــيَ الـــدُّنيا تَقَلَّـــبُ كَيْـــفَ شـــاءَتْ وتَقْـــــذِفُنا بـــــأَلْوانِ الكُـــــراتِ

فـــإِنْ تَضْــــحَكْ، فأَوْقاتًـــا قِصـــارًا وكَـــمْ أَبْكَـــتْ حُشاشـــاتِ النُّعـــاةِ!

ومَـــنْ يَنْســـى تَصـــاريفَ اللَّيـــالي كَمَـــنْ يَنْسَـــى تَـــدابِيرَ الطُّغـــاةِ

نَسِـــــيرُ إلى مَـــــآلاتٍ رَوَتْهـــــا عـــلى أَسْـــماعِنا قَصَـــصُ الـــرُّواةِ

ونَمْضِـــي مِـــثْلما يَمْضـــي سِـــوانا وهـــــذا مُنْتَهـــى دَرْبِ الحَيـــاةِ



بَلِّغُوه

لا شيءَ يسقي القلوبَ الدافئة مثل الوصال والقُرْب من الـمحبّين، هو كالغيث تشتاقه الأرض العطشى، والشوقُ نداءُ الأرض فـي يومٍ شديد الظمأ.

لم يَعُـــــدْ للقَـلْــــبِ سَاقِــــي ... بَعْـــــدَ بُعْـــــدٍ، وافْتِـــــراقِ

فَــــأَنِيْسي نَــــاءَ عَـنِّــــي ... وَيْحَــــهُ مـــــاذا أُلاقِــــي!؟

قَــدْ سَــبانِــــي نُــورَ عَيْنِــي ... بَلِّغُـــوهُ يـــــا رِفـــاقِــــي

بَـلِّغُـــــوهُ أنَّ حُبِّــــــي ... بـالِـــغٌ مـــنِّي التَّـــراقــــي

بلِّغُـــــوهُ أنَّ شَـوْقــــي ... صـــــارَ جَمْـــرًا فـــي حَـــدَاقِي

طـــالَ لَيْلـــي، زادَ وَجْــــدي ... كيـــفَ يَــــرْضَى بـــاحْتِراقِي؟

***

عَهْدُنــــا أَنَّـــا سُــــكَارى ... بـالتَّـدانِــــي والعِـنَــــاقِ

مــــا لنَــأْيٍ قَــــدْ خُلِقْنـــا ... بَــــلْ لِقُــــرْبٍ واشْـتِيَـــاقِ

والأَمانِـــــي فــــي لِقَانـــا ... كــالعَبِيْـــرِ فــــي الـمَـــذَاقِ

تُشْـــرِق الأَحْــــلامُ فِيْنـــا ... يَــــوْمَ وَصْـــلٍ أو تَــــلاقِ



يا عاشِقًا

لا تخفي عيونُ العاشقين خبيءَ قلوبهم، فالعين مرآة خوالجهم، والوصلُ طبّها وعلاجها.

يـــا عَاشِـــقًا فـــي عِشْـــقِهِ احْتَرقـــا   كَـــمْ سَـــابحٍ فـــي الـــيَمِّ قَـــدْ غَرِقـــا!

لا تَقْـــتَرِبْ إِنْ كُنْـــتَ فـــي رَهَـــفٍ   هـــــذا الفُـــــؤَادُ إذا رَأَى عَشِـــــقا

كَـــمْ سَـــاهِرٍ والوَجْـــدُ يَفْضُـــحُهُ!   فَكَـــأنَّمَا للَيْـــلِ قَـــدْ خُلِقـــا

للعِشْـــقِ وَقْـــعٌ لَـــيْسَ يَعْرفُـــهُ   مَـــنْ لم يَـــذُقْ مِـــنْ دَوْحِـــهِ عَبَقـــا

والعَاشِـــقُ الوَلْهَـــانُ فـــي وَصَـــبٍ   إِنْ نـــاءَ خِـــلٌّ أَوْ إذا افْتَرَقـــا

يَكْفِيْـــهِ مِـــنْ مَحْبوبِـــهِ نَظَـــرٌ   أَوْ لَـــفْتَةٌ فـــي غَفْلَـــةٍ سَرَقـــا

فـــي عِشْـــقِهِ مُتَلهِّـــفٌ شَـــغَفًا   أو مَـــالِئٌ مِـــنْ وَجْـــدِهِ وَرَقـــا



أمْضي حالِمًا

للعيون سحرٌ عجيب في دنيا القلوب، فكيف إذا فشا البوحُ ما فيها، هل يبقى لذاك السحر مَدَى!؟

إلى عَيْنَيكِ يأخذُني الشُّرودُ ... فأَمْضي حالِمًا، لكِنْ أَعودُ

مُنايَ بأن تَقولي: يا حَبيبي ... فَقُولي، ثُمَّ قُولي، ما أُريدُ

أنا مِنْ سالِفِ الأَيَّامِ صَبٌّ ... فَهَلْ سَمِعَتْ فَتاتي، أَمْ أُعيدُ!؟

وإِنْ نَزَلَ البُرُودُ بها، فإِنِّي ... مُحالٌ أن يُغَيِّرَني البُرُودُ

سَكَبْتُ عَلَى تَلابيبي شَذاها ... فَصارَ العِطْرُ مِنْ ثَوْبي يَجُودُ

مَضَى ذاكَ الزَّمانُ على لِقانا ... مَعًا، فمَتى الزَّمانُ بِنا يَعُودُ؟

أُطالِعُ في ثَناياهُ صَفائي ... وصَفْوُ العُمْرِ في الدُّنْيا نَشيدُ

***

كأنِّي إِذْ تُعاوِدُني الأَماني ... رَسُولُ الشِّعْرِ، مِنْهُ أَسْتَزيدُ

مُلاقٍ في «عُكاظٍ» بَعْضَ بَوْحي ... ومِنْ حَوْلي أَئِمَّتُهُ شُهُودُ

أَطيرُ فَلا يُجارِيني فَضاءٌ ... وتَأْبى أَنْ تُكَبِّلَني القُيُودُ

إذا ما الحُبُّ خالَطَنا جَميعًا ... فَكُلُّ دَقيقَةٍ في الأَرْضِ عِيدُ



لَذَّةُ الأحْزان

تختلط الـمشاعرُ تجاه الأحبّة، فيغفرون ما لا يُغفَر، ويقبلون ما لا يُقبَل. إنّهم فـي دنيا الغرام التي لا قواعِد لها ولا قوانين تُشْبهنا.

أَلَـــمي، شَـــقائي، يـــا مُعاناتـــي   يـــا لَـــذَّةَ الأَحْـــزانِ فـــي ذاتـــي

لَـــمّا دَنَـــوْتِ إلى هَـــوَى قَلْبـــي   ضـــاعَتْ عـــلى دَرْبـــي اتِّجاهاتـــي

لا تَحْسَـــبي أَنِّـــي عـــلى هَـــدْيٍ   أنـــا ضـــائِعٌ بـــينَ الـــمَسافاتِ

مُتَسَـــكِّعٌ مثـــل الغَـــوَى غِـــرٌّ   أَرْمـــي الخُطَـــى مِـــنْ دونِ ميقـــاتِ

مُتَمايِـــلٌ كالـــمَوْجِ يَخْشـــى مِـــنْ   رِيـــحٍ وأَمْطـــارٍ غَزيـــراتِ

يـــا حُـــزْنَ حَظِّـــي، يـــا شَـــقا قَلْبـــي   يـــا لَيْتَنـــي أَنْسَـــى مُصِيباتـــي

يـــا ليْتَنـــي أَنْـــأى وأَخْطـــو دو   نَ تَعثُّـــرٍ نَحْـــوَ الهَنـــا الآتـــي



إذا يَمَّمتَ قَلْبي



تلحُّ الذكرياتُ على أوتار الغربة، فتَسْتنطقها وتدفع بها إلى عزفٍ شجيّ وبوحٍ عذب.

لِقـــاءٌ فـــي انْتِظـــاري أَمْ خَيـــالُ وبَـــوْحٌ بالـــمَشاعِرِ لا يَـــزالُ

ومَكْنُـــونٌ تَخَبَّـــأَ مِـــنْ سِـــنينٍ مَصُـــونٌ لا يُـــراوِدُهُ انْفِعـــالُ

بِـــهِ أَوْدَعْـــتُ مِـــنْ عُمْـــري رَبيعًـــا هُـــوَ الـــدُّنْيا، ولـــيسَ لـــهُ زَوالُ

***

ولـــي فـــي شـــارِقِ الأَيَّـــامِ ذِكْـــرَى تُســـائِلُني ويُعْيِينـــي السُّـــؤالُ

أَحـــارُ بِـــما يُخالِـــجُني هَواهـــا فأَكْتُبُـــهُ، ويُخْجِلُنـــي الـــمَقالُ

تِـــلالٌ مِـــنْ جَمـــالٍ لـــيسَ يُنْسَـــى وَهَـــلْ يُنْسَـــى، إِذا نَهْـــوَى، الجَـــمالُ!؟

***

أَيـــا طَـــيْرًا تُداعِبُـــهُ الـمَعالـــي أَلَا حَلِّـــقْ، ففـــي أُفْقِـــي الغَـــزالُ

وبَلِّغْـــهُ إذا يَمَّمَـــتَ قَلْبـــي بأَنِّـــي فـــي عُهُـــودي مـــا أَزالُ

لَـــهُ فـــي خـــافِقي بَيْـــتٌ فَريـــدٌ لكُـــلِّ بُيُـــوتِ أَحْبابـــي مِثـــالُ

أُنِـــيرُ صِـــبا نَوافِـــذِهِ بشَـــمْسٍ فـــإِنْ أَمْسَـــى يُنـــوِّرْهُ الهِـــلالُ

وأَسْــــكُنُهُ ويَسْـــكُنُني فــــأَرْقى وتَعْيـــا دُونَ رَقْواتـــــي الجِبــــالُ

ســـيَبْقَى فــــي تَفاصيلــــي لَصِـــيقًا كَحـــالِ الـــمَرْءِ تَتْبَعُـــهُ الظِّـــلالُ



لَيْلٌ وأحْلام

لا يخفّف وطأةَ الواقع الثقيل إلّا استشراف قادمٍ أجمل، يعيش على وقعه المتفائلون في انتظار هالاتٍ من النور والأمل، فيغدو الظلامُ الدامس نذيرَ فجرٍ وَضيء.

لَيْـــلٌ وأَحْـــلامٌ وبَعْـــضُ أَمانـــي ... مـــاذا تُخَبِّـــئُ يـــا خَفِـــيَّ زَمانِـــي؟

فِيـكَ انْطَـوَى مـا لَسْـتُ أَعْلَـمُ كُنْهَـهُ ... فَعَسَـــى يَـــرَى عُنْوانُـــهُ عُنْوانـــي

مـا زِلْـتُ أَنْشُـرُ فـي الخَيـالِ مَشـاعِري ... إِنَّ الخَيَـــالَ سِـــياحَةُ الكِـــتْمانِ

أَرْمــي عَلَيْــهِ مــا يَجُــولُ بخــاطِري ... وَأَقـولُ: أَقْبِـلْ، أَنْـتَ عُمْـري الثّانـي

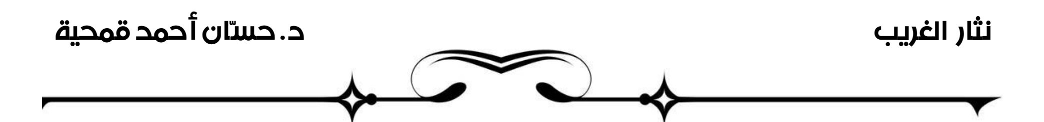
***

يَتَـــوازَعُ الأَسْرارَ لَيْـــلٌ ســـاكِنٌ ... فيــهِ رَوَيْــتُ الصَّــمْتَ مِــنْ أَشْجانــي

وجَنَــى فُــؤادِي فــي القَصــيدِ أَسُــوقُهُ ... إِنْ ضــاقَ عَنِّــي داخِلــي وكِيَانــي

أَسْــقِي مِــدادِي مِــنْ رَحيــقِ فُصُــولِهِ ... وأُعِيــذُهُ مِــنْ رِبْقَــةِ الخَفَقــانِ

إِمَّـــا غَفَـــوْتُ فَلِلصَّـــباحِ رِســـالَتي ... ورِســـالَتي مَجْهُولَـــةُ الشُّـــطْآنِ



مَوْجُوعٌ وَطَني يا أبَتي



أحاديثُ الوجع والألـم بالِغةُ الوقع على النفوس الطيّبة والقلوب الرقيقة، وكم هي كثيرةٌ هذه الأحاديث فـي عالـم اليوم!

أَظْلمَـــتِ الـــدُّنْيا يـــا أَبَتـــي فـــي كُـــلِّ مَكـــانْ

وتَبـــدَّلَ لِلعُـــرْفِ الـــمَعْنى، وطَغَـــى الإنســـانُ

فالضَّـــوْءُ السَّـــاطِعُ يـــا أَبَتـــي كَـــرْهٌ ومُهـــانُ

وخُـــدُودُ الشَّـــامِ تَداوَلُـــها جُنْـــدُ الشَّـــيْطانْ

***

لا ظِـــلَّ لِعـــانٍ، يـــا أَبَتـــي، إِنْ حَـــلَّ الفَـــيْءْ

وحَـــديثُكَ، أَصْـــبَحَ مَـــمْجُوجًا، عَـــنْ حـــاتَمِ طَـــيْءْ

قَـــدْ بِتْنـــا خُرْقَـــةَ أَسْـــمالٍ كَثُمالـــةِ قَـــيْءْ

مـــا عـــادَ لَنـــا شَـــأنٌ، مـــا عُـــدْنا شَيْءْ

***

طَوَّفـــتُ العَالَـــمَ يَحْدُونـــي قَلْبـــي الـــمَخْدُوعْ



وطَرَقْـــتُ البـــابَ عـــلى أَهْلـــي، فَدَهانــــي الجُـــوعْ
يـــا أَبَتـــي لَـــوْ أَنَّـــكَ تُبْصِـــرُ حُلُـــمَ الـــمَوْجُوعْ
الـــنَّفْسُ اشْـــتاقَتْ، يـــا أَبَتـــي، لسَـــريرِ هُجُـــوعْ

***

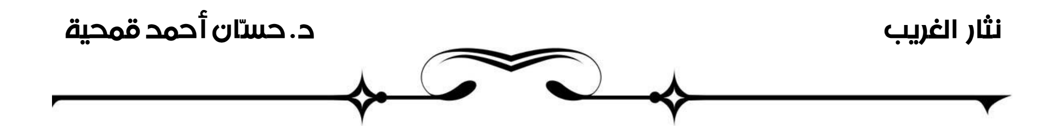
عُـــذْرًا يـــا أَبَتـــي! لا تَسْـــأَلْ عَـــنْ حـــالِ النّـــاسْ
وَسْـــوَاسُ اللُّقْمَـــةِ، يـــا أَبَتـــي، أَرْدَا وَسْـــواسْ
الظَّمَـــأُ الكـــافِرُ يَغْـــذُوهُمْ نـــارَ الإِحْســـاسْ
والحُـــرُّ الطَّـــاوِي لا يَبْقَـــى مَرْفُـــوعَ الـــراسْ

***

الـــرَّوْضُ الضَّـــاحِكُ، يـــا أَبَتـــي، مَكْثُـــورُ القَفْـــرْ
وغَـــديرُ الـــماءِ يُنازِعُـــهُ، مَقْطُـــوعُ القَطْـــرْ
والعُشْـــبُ الزَّاهِـــرُ مُرْتَحِـــلٌّ مِـــنْ هَـــوْلِ القَهْـــرْ
والطَّـــيْرُ تَخَـــلَّى عَـــنْ عَـــوْدٍ، أَضْـــناهُ الصَّـــبْرْ

***

إِخْوَانـــي رَحَلُـــوا يـــا أَبَتـــي فـــي أَرْضِ شَـــتاتْ
واللُّقْيَـــا باتَـــتْ، يـــا أَبَتـــي، مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــماتْ
مَجْـــرُوحٌ عُمْـــري، وزَمانـــي مِنِّـــي يَقْتـــاتْ
فـــإِلامَ العَـــيْشُ أُكابِـــدُهُ؟ يَحْيَـــا الأَمْـــواتْ!



انْهالَ الشَّقاءُ على بلادي



يُؤلـمني يا وطني أن أراك حزينًا مَوْجوعًا، فها هي ربوعك مقفرة، وربيعك مسافر، وليلك طويل!

بـــأيِّ رِســـالةٍ أَنْعَـــى فُـــؤادِي إذا انْهـــالَ الشَّـــقاءُ عـــلى بِـــلادي!؟
يُعـــايِنُ نـــاظِري مـــا قَـــدْ دَهاهـــا فَيَسْـــــرُدُ قِصَّـــــةَ الأَلَمِ الـــــمُعادِ
وفـــي سِـــفْرِ الـــمآسي خُـــطَّ عُمْـــرٌ تَمَـــرَّسَ فـــي مُعايَنَـــةِ الرَّمـــادِ
ومـــا عَـــرفَ السَّـــعادَةَ مُنْـــذُ أَضْـــحَتْ فِلَسْـــطينٌ تُبـــاعُ بِكُـــلِّ نـــادِ
وفـــي الْـــيَمَنِ الـــمُسَجَّى فَـــوْقَ نـــارٍ أَقاصـــيصُ الـــمُمالِئِ والـــمُعادي
وشـــامُ الـــمَجْدِ مَبْتُـــورٌ مَـــداها وقَـــدْ عَـــزَّتَ أَســـاليبُ الرَّشـــادِ
وأَيْـــنَ «رَشـــيدُنا» يَبْنـــي عِراقًـــا يُطـــاوِلُ مجـــدُهُ قِمَـــمَ النِّجـــادِ؟

***

صَـــبيبُ الشَّـــرِّ لم يَنْفَـــدْ، ولكِـــنْ تَمـــادَى فـــي مَيـــادينِ الفَسَـــادِ
فكَيْـــفَ لعَـــيْنِ «يُوسُـــفَ» أن تُوفَّـــى بِـــبَعْضِ الـــذِّكْرِ فـــي زَمَـــنِ الرُّقـــادِ؟
أَيُجْـــدِي أَن أَلُـــوذَ بـــبَعْضِ شِـــعْري وحـــالُ عُرُوبَتـــي تُبْكـــي الأَعـــادي؟
عِنـــادُ البُطْـــلِ يـــا صَـــحْبِي كَبـــيرٌ فَتَبًّـــا، ثُـــمَّ تَبًّـــا لِلْعِنـــادِ



حَدِّثونِي عَنْ بلادِي

ماذا يحدّث الياسمين لو تكلّم عن بلادي، أما زال ينثر أريجه فـي شوارعها الحزينة، أما زال بياضُه يزيّن حدائقها وشرفاتِ منازلها، أم أنّه هاجر مع قوافل الهاربين!؟

عَـــنْ بِـــلادِي حَدِّثونـــي   واصْرِفُـــوا عنِّــي ظُنُونـــي

حَيْرَتـــي قَضَّـــتْ صَــفائِي   بَـــيْنَ شَـــكٍّ ويَقِـــينِ

هَـــلْ ضَـــجِيحٌ مـــا أَرَاهُ؟   يـــا سُـــؤالًا يَعْتَرِينِـــي

***

حَدِّثُونـــي عَـــنْ حُـــرُوبٍ   فـــي بـــلادِ الياسَـــمينِ

عَـــن رَبيـــعٍ لا أراهُ   مـــاتَ في لَيْـــلِ السُّـــجُونِ

***

أَيَّ أَحْـــلامٍ فَقَـــدْنا   في فَجاجـــاتِ الســـنينِ؟

أَيْـــن نَـــبْضُ السِّـــلمِ فِينـــا   مـــا لَكُـــمْ لا تَسْمَعُونـــي؟

اعْذُرونـــي عَـــنْ مِـــدَادٍ   جَـــفَّ فـــي يَـــوْمِي الحـــزينِ



سَبَرْتُ مَشاعِري

تتلكّأ الكلماتُ، وتتعثّر العبارات، وتغصّ الجمل أمامَ تهاطُل الجمال؛ وإذا ما أعرضَ ونأى بجانبه، ندبتُ حظّيَ العاثر.

لَـــــمَّا سَــــبَرْتُ مَشـــاعِري فـــــي قُرْبِها
حــــارَ الكَــــلامُ، وضَــــلَّ عنِّــــي نـــــاصِري
أَسْـــــهَبْتُ فــــي رَسْـــمِ الـــــمَحاسِنِ راجِيًــــا
أَنْ أُحْسِــــنَ الوَصْـــفَ الـــذي فــــي خـــاطِري
لكنَّنــــي فـــــي البَـــوْحِ أُمْسِـــــي عـــــاجِزًا
أَطْـــوِي فُــــؤادِي طَــــيَّ حَظِّـــي العــــاثِرِ



لا أريدُك

قالت: رُوَيْدك، لقد بات قلبي ينشد النسيانَ من بعد أن تعلّق بومضٍ كلمةٍ حسبتها تشفي هواجس وعدٍ باهت يعيد لي أملَ اللقاء؛ أتعبني الانتظار، أرهقني الصُّدود؛ والآن ها أنذا أُوثر الابتعادَ على مضض، فليس بحبيبٍ من أشقى أملي وحلمي.

مــــا زِلْـــتَ تَرْعـــى صُــدُودَكْ ... يــــا مَـــنْ نَسِــيتَ وُعُـــودَكْ

أَلَــــمْ تَقُـــلْ ذاتَ وَصْـــلٍ: ... أَمْسَــــى وُجــودِي وُجُـــودَكْ!؟

أَهْرَقْـــتَ قَلْبَـــكَ عِنْـــدي ... لَــــمَّا سَــــأَلْتُكَ جُـــودَكْ

ولانَ مِنْـــــكَ شَـــــديدٌ ... حَتَّـــــى فَقَــدْتَ صُـــمُودَكْ

مـــــاذا دَهـــاكَ، فإنِّــــي ... شـــــاكٍ إِلَيْـــكَ جَديـــدَكْ؟

قَلْـــــبٌ تَعـــــالى جَفـــاهُ ... يَنْعَـــــــى إِليَّ جُمُـــــــودَكْ

إِنْ شِـــئْتَ هَجْـــرًا فَأَقْبِــلْ ... وَفُــــكَّ عَنِّـــي قُيُـــودَكْ

أَرْهَقْــــتُ فِيـــكَ فُـــؤادي ... فكَيْـــفَ لـــي أَنْ أُريــدَكْ!؟



عَيْشِـي بالضَّنَى يُوطَأ



حزينةٌ هي قَصَصُ اللاجئين السُّوريين، مريرةٌ معاناتُهم، قليلٌ حظُّهم عندَ إخوانهم. لقد جرَّبوا كلَّ ألوان الشَّقاء والبلاء والأرزاء، وكأنَّ الدنيا لم تجد غيرَهم لتعذِّبَه وتنهالَ عليه بما أُوتيت من أذى وأسى. طالت أزماتهمُ، فذاقوا الحرَّ والقرَّ، والجوع والعطش، والخِذْلان والنُّكران، من القريب والبعيد.

أَنـــا وَعْـــدٌ بِـــلا مَرْفَـــأْ ... أَنـــا خَـــوْفٌ بِـــلا مَلْجَـــأْ

رَمانـــي الـــدَّهْرُ فـــي حَـــرْبٍ ... ضَرُوسٍ مـــا لَـــها مُطْفِـــئْ

وَقَـــدْ عُمِّيـــتُ عَـــنْ وَعْـــيٍ ... فَـــلا أُمْلـــي، وَلا أَقْـــرأْ

وكَيْـــفَ أُزيـــلُ أَدْرانـــي؟ ... إِذا بالسِّـــلْمِ لا أَهْنَـــأْ

يُـــروِّي الـــماءُ مِـــنْ عَطَـــشٍ ... ولكنِّـــي بِـــهِ أَظْمَـــأْ

يَبِيـــتُ السُّـــهْدُ فـــي عَيْنـــي ... فـــلا أَغْفُـــو، ولا أَهْـــدَأْ

فكَيْـــفَ الوَعْـــدُ يُحْيِينـــي ... وعَيْشـــي بالضَّـــنَى يُوطَـــأْ!؟

وهـــذا «اللَّيْـــلُ أَضْوَانـــي» ... وَفَجْـــرِي عَـــزَّ أَنْ يَنْشَـــأْ

***

دَعَــــوْتُ السُّــــوءَ أن يَمْضــــي فأَرْادنــــــــي إلى الأَسْــــــــوَأْ

وَقَــــدْ جــــاءَتْ سِــــنينُ القَحْــــ ــــطِ .. يــــا وَيْــــلي بِــــما أُرْزَأْ

***

أَمــــا لِلْحُــــزْنِ أَنْ يَمْضــــي أَمــــا للجُــــرْحِ أَنْ يَــــبْرأْ

أَمــــا للفَجْــــرِ أَنْ يَأْتــــي أَمــــا للقَلْــــبِ أَنْ يَهْنــــأْ

***

تَعــــرَّى العُمْــــرُ يــــا وَطَنــــي فَكَيْــــفَ العُمْــــرُ يُسْــــتَدْفَأ؟

وكَيْــــفَ النَّــــارُ أُخْمِــــدُها؟ ونــــارُ الظُّلْــــمِ لا تُطْفَــــأْ

ثَقِيــــلٌ مــــا نُلاقِيــــهِ وأَثْقَــــلُ مِنْــــهُ قَــــدْ يَطْــــرَأْ

***

لَنــــا فــــي الشَّــــامِ أَحْبــــابٌ وفــــي «حِمْــــصٍ» وفــــي الــــمَرْفأْ

أُذيقُــــوا الهَــــمَّ أَلْوَانًــــا فمَــــنْ يَأْسُــــو؟ ومَــــنْ يَعْبَــــأْ؟

سَــــتَرْوِي الخِــــزْيَ قِصَّــــتُنا ومَــــنْ أَعْطَــــى، وَمَــــنْ أَبْطَــــأْ

فَفِــــي الأَسْــــفارِ مَــــنْ خــــانُوا وبــــاعُوا الحَــــقَّ والــــمَبْدَأْ



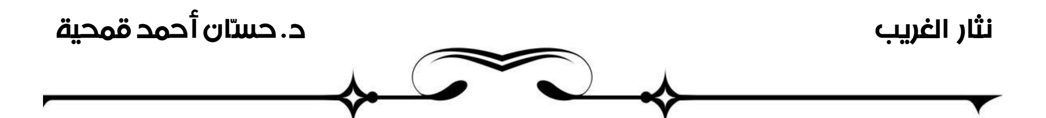
أَنَنْتَظِرُ الصَّباح؟

لابُدّ لكلّ شدّة من انفراج، {فإنّ مع العسر يُسرًا}؛ تلك هي الأماني الراسِخات في النفوس الدائبة وهي تنتظر انبلاجَ الفَجْر؛ إنّه اليقينُ عندما تتّخذ الروحُ مِعْراجًا إلى ربّها.

جَفانا القُرْبُ في عَصْرِ الشَّتاتِ ومـاتَ الحُلْمُ مِنْ خَوْفِ المَماتِ
أَنَنْتَظِرُ الصَّباحَ، وليسَ يَأْتي؟ كأنَّ الشَّمْسَ في سِجْنِ الطُّغاةِ
سَبانا نُورُها فَبَغَوْا عَلَيْنا ألا سُحْقًا لِلَيْلاتِ البُغاةِ

***

نُريدُ الشَّمْسَ كَيْ نَحْظَى بأُفْقٍ جَميلٍ يَسْتَفيقُ مَعَ الرُّعاةِ
فَنَمْضِي خَلْفَ أَسْرابِ العَطايا كما الأَطْيارُ تَمْضي سابِحاتِ
ونَغْزِلُ من صُنُوفِ العَزْمِ رِزْقًا ونَهْجُرُ ما تَبَقَّى مِنْ سُباتِ
رَغِيدٌ عَيْشُنا في ظِلِّ عِزٍّ وإن كُنَّا نَعِيشُ على الفُتاتِ



وَعْدُ الوَصْلِ لاح



تَشِيخُ الأجساد، دون القلوب ما دام الحبّ غذاءها والأمل وعاءَها؛ هي قلوبٌ تعيش في انتظار الربيع، تتلاقى بها الأرواحُ مَهْما تباعدت الجسوم؛ إنّه عالم الروح الذي يضيق عنه علمُ البشر، فلا يقفون إلّا على أعتابه مهما بلغوا وسَعَوْا.

اِسْـــتَفيقي، إنَّ وَعْـــدَ الوَصْــلِ لاحْ　　بِـــتُّ لَيْلـــي ســاهِرًا حتَّـى الصَّـباحْ

عـــامرٌ قَلْبـــي بأَيَّـــامٍ مَضَـــتْ　　لا تَظُنِّـــي أنَّنـــي طَيْـــفٌ وَراحْ

لم يــزلُ عَهْــدُ الصِّــبا فــي خــافِقي　　أَجْمَـــلُ الأَوْقـــاتِ فَجْـــرٌ لا يُـــزاحْ

ثـــمَّ يَـمْضـــي نَحْـــوَ ظُهْــرٍ يَوْمُنـــا　　فَوْقَـــهُ الشَّـــمْسُ كأَسْـــنانِ الرِّمـــاحْ

نَعْـــرُكُ الـــدُّنْيا فَتُفْنـــي عَزْمَنـــا　　لــيسَ عِنْـدَ الفَــوْزِ مَنْــزُوعُ السِّــلاحْ

ذاكَ عُمْـــرٌ صِــــنْوُ أَلْـــوانِ الشَّـــقا　　كـــلُّ ضُرٍّ فـــي حِمـــاهُ مُسْـــتَباحْ

***

يـــا خَريفًـــا جِئْـــتَ تُنْهِـــي قِصَّـــتي　　فَمَشـــيبي قَـــدْ عَلانـــي وَاسْـــتَراحْ

كَيْـــفَ مِنِّـــي نِلْـــتَ حَظًّـــا غـــائِرًا!؟ كَيْـــفَ أَنْهَكْـــتَ مَرامِـــي والجَنـــاحْ!؟

كـــلُّ بَـــأْسٍ زائِـــلٌ مَهْـــما طَغَـــى بِرَجـــــــاءٍ أو دَواءٍ أو لَقـــــــاحْ



نُكْران

لا يشكر اللهَ سبحانه من لا يشكر الناس، فالاعترافُ بالفضل لا يكون إلّا من أهل الفضل؛ أمّا النفوس التي اعتادت على الجحود والنكران فلا خيرَ فيها؛ ولا يظهر معدنُ الإنسان إلّا عندَ الاختبار؛ فما أشدّ وقع النكران في الشدّة على النفوس الخيّرة.

كـــــانَ مُرْتـــــادًا يُطَـــــوَّى عَيْبُـــــهُ ... وعُيُـــــونُ القَـــــوْمِ يَخْطُـــــبْنَ وِدادَهْ

أَنْعَـــــمَ اللهُ عليـــــهِ مِـــــنْ غِنًـــــى ... فَمَشـى بـينَ الـوَرَى يُزْجـي السَّـعادَةْ

قَـــرَّبَ الأهـــلَ، وبالصَّـــحْبِ احْتَفَـــى ... قـالَ: أَنْـتُمْ فـي العَطـا وَسْـطَ القِـلادَةْ

أَغْـــدَقَ الخَـــيْرَ وَفـــيرًا بَيْـــنَهُمْ ... وَارْتَـــوى لـــمَّا رَأى فِـــيهِمْ مُـــرادَهْ

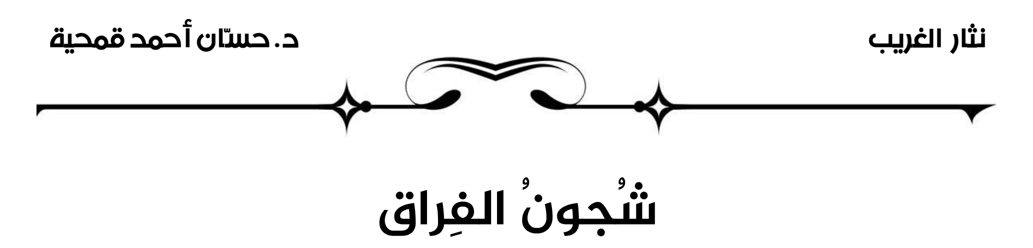
***

وانْقَضَـــتْ تِلْـــكَ اللَّيـــالي بَغْتَـــةً ... وأَتـى عُسْـرُ القَضـا يُلْقـي سَـوادَهْ

فَـــانْطَوَتْ زُهْـــرُ الأَمانـــي ومَضَـــتْ ... وهَنِـــيءُ العَـــيْشِ أَخْطـــا مُسْـــتَرادَهْ

غـــابَ عَـــنْ ســـاحِ التَّلاقـــي صَـــحْبُهُ ... وَاكْفَهَـــروا مثـــلَ أَيَّـــامِ «الرَّمـــادَةْ»

كيـــفَ غـــابوا؟ كيـــفَ نـــاؤُوا؟ اِسْـــأَلُو ... هُـمْ، فَقَـدْ أَمْسَـى جُحُـودُ الفَضْـلِ عـادَةْ



شُجونُ الفِراق



مرهقةٌ هي الحياة، لا يدوم لها حال، تسير بلا توقّف، وتترك عند كلّ محطّة ذكريات، منها السعيدة ومنها ما يؤلم القلوبَ ويُشْقيها بالفراق. كم من رفاقِ عمرٍ غابوا عن مجالس الأنس بعدَ أن كانت تعمرُ بهم الأمسيات! وكم من بيوت تركها أصحابُها فبقيت جدرانًا صامتة لو تكلّمت لنطقت بالكثير! ولكنّ للهِ نفحاتٍ تصيب قلبَ المؤمن فتجعله راضيًا محتسبًا منتظرًا وعدَ الصبر والرِّضا.

أَتَخْطِــــفُ منَّـــا عُيُــونَ الأدَبْ وتَــتْرُكُ فِينــا أَجِــيجَ اللَّهَــبْ
أَمــا مِــنْ مَفَــرٍّ يَصُــونُ الرِّفــاقَ ويَمْنَــعُ عَنَّــا نَشــيجَ التَّعَــبْ؟
لكَــمْ أَوْجَعَتْنــا شُــجونُ الفِــراقِ ولم يُجْــدِ فِيهــا طويــلُ العَتَــبْ!
نَنــامُ ونَصْــحُو عــلى نَغْــوَةٍ تُــذيبُ الفُــؤادَ وتُحْيِــي النَّصَــبْ

***

لقــدَ طاوَلَتْنــا صُرُوفُ اللَّيالــي وأَخْنَــتْ علينــا بِكُــلِّ عَجَــبْ

فَحِرْنـــا وحـــارَ دَليـــلُ النُّهَـــى كـــأنَّ شَرابًـــا بِهـــا قَـــدْ ذَهَـــبْ

***

ســـأكْتُبُ فـــي مآســـي البَيـــانِ أَقاصِـــيصَ عُمْـــرٍ بـــدَمْعِ الخُطَـــبْ

وأَزْرَعُ فيهـــا بُـــذُورَ الرِّضـــا ولـــي فـــي الرِّضـــاءِ إلـــهٌ ورَبّ

ويَعْمُـــرُ سِـــفْري دَقِيـــقُ العَطايـــا وكَـــمْ مِـــنْ عَطـــاءٍ كقَطْـــرِ السُّـــحُبْ!



عَفافِـي يَمْنَعُني



ذاك القلبُ الأبِـيّ، الذي يحمل دِفْءَ الدنيا وطُهْرَ الصالحين، يتمزّق بين شوقٍ وعفّة، يتأرجح بين إِقْبالٍ وإِدْبار، ولكنّه لا يعلم أنّ هذا التمنّع الطاهر أجملُ ما فيه، بل هو جوهرُ الجمال فيه.

جَلَسَـــــتْ بِجـــــواري تَرْمُقُنـــــي فأَخَـــــذْتُ أُراقِـــــبُ جِلْسَـــــتَها

كانَـــــتْ مُعْجَبـــــةً؟ لا أَدْري أَمْ كانَـــــتْ تَعْـــــرِضُ فِتْنَتَهـــــا؟

أَدْرَكـــــتُ بأَنِّـــــي مَقْصُـــــودٌ فعَســـــى أَتجنَّـــــبُ قَبْضَـــــتَها

لكنِّـــــي لَـــــمْ أَعْبـــــأْ جِـــــدًّا وتَجاهَـــــلَ قَلْبـــــي نَظْرَتَهـــــا

***

قالـــــت: مـــــا بالُـــــكَ مُضْـــــطَرِبُ أُنْظـــــمِ للبِنْـــــتِ قَصـــــيدتَها

فـــــي قَلْبـــــي جَـــــذْوةُ أَشْـــــواقٍ فَتَعـــــالَ وأَطْفِـــــئْ جَـــــذْوتَها

بقَصـــــيدٍ يَختـــــالُ جَمـــــالًا ويُعيـــــدُ لنَفْســـــي بَهْجَتَهـــــا

يـــــا قصَّـــــةَ حُبِّـــــي، أَخْبرنـــــي هَـــــلْ يَنْسَـــــى العاشِـــــقُ حَبْكَتَهـــــا؟

هَـــــلْ يَنْسَـــــى الزَّهْـــــرَ وضَـــــوْعَتَهُ هَـــــلْ تَنْسَـــــى العَـــــيْنُ حَـــــديقَتَها؟

لا تَصْــــمُتْ! فالصَّــــمْتُ عَــــدُوِّي وأَعِـــــدْ لضُــــــلُوعِي لَــــــهْفَتَها

***

لا تَحْسَـــــبْ أَنِّــــــي إِنْ تَــــأْنَسْ لِفتـــــاةٍ ذُقْـــــتَ حَلاوَتَهــــــا

أَنْســــــى وأَســــــامِحُ وأُمــــاري فالـــــــمرأةُ تَمْقُــــــتُ ضَرَّتَهــــــا

لــــــن أَنْسَــــى يَوْمًـــا ســــارِقَتي سَرَقَــــتْ أَحْلامــــــي ونَكْهَتَهــــــا

لكــــــنَّ عَفافِــــــي يَمْنَعُنــــــي والحُــــــرَّةُ تَحْفَــــــظُ مَنْعَتَهــــــا



سِحْرُ العَذارى

يسير العمرُ بلا توقّف، لكنّه يترك وراءه ذكرياتنا بحلوِها ومرِّها، ومنها ما يستقرّ في تضاعيف الحنين، فإذا جدّ موسمٌ أو رقّ القَلْب أو صفا الوقت تهاطلت تلك الذكريات، وماجت تُداعِب الخاطرَ وتستعيد ما مضى وانقضى.

يُـــداعِبُ نـــاظِري غَـــيْمُ الشِّـــتاءِ فتَهْطـــلُ ذِكْرياتـــي فـــي سَـــخاءِ

ويَأْخُذُنـــــي الحَنِـــينُ إلى رَجـــاءٍ ومـا لـي فـي الحَنـينِ سِـوَى رَجـائي

وإن جـــادَ السَّـــحابُ بفَـــيْضِ قَطْـــرٍ تَبلَّـــلَ خـــاطِري بعـــدَ الجَفـــاءِ

وأَيْنَـــعَ فـــي سَـــديمِ الوقـــتِ قَلْـــبٌ يَتُـــوقُ إلى مُعانَقـــةِ السَّـــماءِ

لَـــهُ فـــي ســـالفِ الأيَّـــامِ وَعْـــدٌ تَعطَّـــرَ بالتأنِّـــي والحَيـــاءِ

***

إذا مـــرَّتْ عـــلى طَيْفـــي فَتـــاةٌ لهـــا فـــي العُمْـــرِ أســبابُ البقـــاءِ

تَطـــوفُ عـــلى مَساءاتـــي لُحُـــونٌ كـــأنَّ غَريـــدَها دَرْبُ الضِّـــياءِ

وأَلْقَـــى فـــي لَيـــالي الشَّـــوْقِ سُـــؤْلي وأَنْسَـــى مـــا تَـــراكمَ مِـــنْ عَنـــاءِ

بَـــديعٌ أن يَفيـــقَ الوَصْـــلُ حُبًّـــا ويُسْـــقَى القلـــبُ مِـــنْ عَطْـــفِ الوَفـــاءِ
ويَغْـــدُو مـــا تنـــاءَى قَيْـــدَ قُـــرْبٍ كحـــالِ الصَّـــبِّ يُمْنَـــى باللِّقـــاءِ

***

تُنـــاديني إلى زمـــنِ التَّصابـــي عَـــروسٌ لا تَحيـــدُ عـــنِ النِّـــداءِ
يُعـــانِقُ أُنْسُـــها أَنْســـامَ فَجْـــري ويَخْطـــبُ ودُّهـــا حُلَـــلَ الشِّـــفاءِ
أُعـــايِنُ فـــي جَـــدائلها قَصـــيدي إذا يَشْـــدُو يَعِـــزُّ عـــلى الفَنـــاءِ
وفـــي العَيْنـــينِ مِـــنْ سِـــحْرِ العَـــذارى جَـــلاءٌ فـــي جَـــلاءٍ فـــي جـــلاءِ
إذا تَبْـــدُو يغـــارُ البـــانُ مِنْهـــا وتَحْسُـــدُها مَقامـــاتُ النِّســـاءِ
وإن تَضْـــحَكْ فَللأَزْهـــارِ لَهْـــفٌ كإقبـــالِ السَّـــقيمِ عـــلى الـــدَّواءِ
مَـــلاكٌ فـــي تَجلِّيهـــا وشَـــمْسٌ إذا رُسِـــمَتْ عـــلى كَبِـــدِ السَّـــماءِ
يُخامِرُنـــي الخَيـــالُ لَفْـــرْطِ وَصْـــفٍ لآنِسَـــتي، ويَمْنَعُنـــي حَيـــائي
فأَكْتبُهـــا، ولكِـــنْ دُونَ بَـــوْحٍ وأَمْـــلأُ مِـــنْ مَحبَّتهـــا دِلائـــي



جَنّةٌ لَـمْ تزرْ

نقاءُ الأشياء وصفاؤها لغةٌ من لغاتِ العذارى، وقبسةٌ من مَعينِ الحرائر؛ والعمرُ الخفيّ بها عمرٌ عامر بالشوق والجمال.

نَقِيَّــــــةٌ لا تَعْــــــرِفينَ الكَــــــدَرْ   عَفِيفَــــــةٌ لا تُشْــــــبِهينَ البَشَــــــرْ

كَزَهْــــرَةٍ بَرِّيَّــــةٍ فــــي الصَّــــفا   مــا عَرَفَــتْ يَوْمًــا رُبُــوعَ الحَضَــرْ

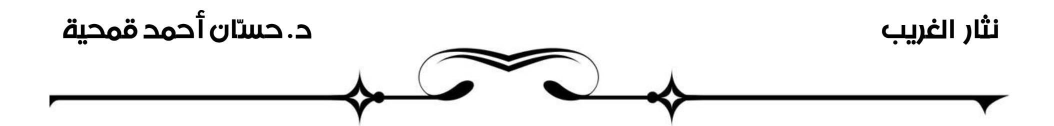
كَنَسْـــمَةٍ مَـــرَّتْ عـــلى خـــافِقٍ   مِـــنْ هـــادِئِ البَحْـــرِ، ولَيْـــلِ السَّـــمَرْ

فيــكِ مِــنَ الغُمُــوضِ حُسْــنٌ طَغـا   ومِـــنْ جَلالِـــهِ بَـــديعُ الصُّـــوَرْ

عَصِــــيَّةٌ، كلَيْلَــــةٍ مِــــنْ قَــــدَرْ   قَصِــــيَّةٌ كعــــارِضٍ مُنْتَظَــــرْ

يــا لَيْتَــهُ حُلْمــي الــذي انْقَضــى   يَعُــودُ لــي قَبْــلَ ارْتِحــالِ العُمُــرْ

فأَسْـــتَقي مِـــنْ ظِلِّـــهِ هانِئًـــا   كـــأَنَّني فـــي جَنَّـــةٍ لم تُـــزَرْ



صِرْتُ شَخْصًا مُطْمَئِنّا



ما أجمل الطمأنينة وراحة البال، وهل يتأتّى ذلك إلّا بصفاء النيّة والقُرب من الخالِق جلَّ وعلا والأنس بمناجاته. لقد صدق الشاعر حين قال: «مَنْ يَشْتَري منِّي الحياةَ وزَهْوَها ... بصفاءِ يَوْمٍ لا يُهَدِّدُهُ الغَدُ؟!».

مُـــــــــذْ عَرَفْـــــــــتُ اللهَ ربِّـــــــــي
صِرْتُ شَخْصًـــــــــا مُطْمَئِنّــــــــا
سَـــــــكَنَ الرِّفْـــــــقُ حَيَاتِـــــــي
حـــــازَ قَلْبِـــــي مـــــا تَمَنَّـــــى
لَـــــيْسَ فــــي طَـــــيْشٍ فَـــــلاحٌ
نـــــالَ خَــــيْرًا مَـــــنْ تَـــــأنَّى



عَهْدي أنّكَ الفَظّ

مهما حاول بعضُهم الاقتراب لا تتقبّله الروح، ولا يصفو له القلب [فالأرواحُ جنودٌ مجنّدة، فما تعارفَ منها ائتلف، وما تناكَر منها اختلف].

غَريـــــــــــــــبٌ أَن تُــــــــــــــــدانِيني

فعَهْـــــــــــــدي أَنَّـــــــــــــكَ الفَـــــــــــــظُّ

وحَظِّــــــــــــــي فيـــــــــــــكَ أَعْرِفُـــــــــــــهُ

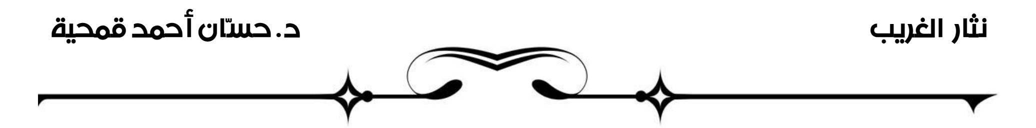
قَبِــــــــــــيحٌ ذلـــــــــــــكَ الحَـــــــــــــظُّ

إذا أَسْرَفْـــــــــــــتَ فـــــــــــــي وَصْـــــــــــــلي

نَــــــما فـــــــــــي صَـــــــــدْرِيَ الغَــــــــيْظُ

ووَعْظُـــــــــــــــكَ لا أُبارِكُـــــــــــــــهُ

فلَـــــــــــيْسَ لِفالـــــــــــتٍ وَعْـــــــــــظُ



تُنادينِي الأسِيرَة



فلسطين يا أُنْشودَةَ الـمَهْد لِصغارنا، ويا طريقَ الشّهادة والـمجد لشبابنا، يا مَسْرى نبيّنا ومِعْراجه، يا بغيةَ أرواحنا؛ لـم ولن تكونـي إلّا وجهةَ قلوبنا ونضالنا مهما حاول الحاقدون أن يُقْصوا هيامَنا بك عن أبنائنا وأحفادنا.

بـــأيِّ قَصِـــيدةٍ يَرْقَـــى خِطابـــي إذا ارْتَقَبـــتْ فِلَسْـــطينٌ جَوابِـــي؟

تُنـــاديني الأَسِـــيرةُ: كَيْـــفَ تَغْفُـــو وفـــي قَلْبـــي مَفاعيـــلُ الحِـــرابِ؟

وأَيْـــنَ وَصـــيَّةُ الإِسْـــلامِ مِنِّـــي وقَـــدْ خُطَّـــتْ بآيَـــاتِ الكِتَـــابِ!؟

سَـــكَتُّ وفـــي فُـــؤادي حَـــرُّ نـــارٍ أُلَـــمْلِمُ خَيْبَتـــي وصَـــدَى اضطِرابـــي

وطافَـــتْ فـــي خَيـــالي بِنْـــتُ شَـــمْسٍ تَعالَـــتْ فـــوقَ أَطْبـــاقِ السَّـــحابِ

ومـــا نالَـــتْ مِـــنَ الأَنْصـــارِ إلَّا أَحاديـــثَ البُكـــا والاِنْتِحـــابِ

***

أَقِيلـــي عَثْرَتـــي فـــالخَطْوُ شَـــوْكٌ ودُونَ مَســـالِكِي وَعْـــرُ الشِّـــعابِ

لـــئِنْ وَلَّـــى الضَّـــبابُ أَمـــامَ دَرْبـــي ســـأَجْعلُ مُنْيَتـــي كَسْـــرَ الرِّقـــابِ

***

لَنــا فـــي القُــدْسِ أَحْــلامٌ عِــراضٌ نَراهـــا فـــي الشَّـــبيبةِ والشَّـــبابِ
سنُبْصِـــرُ نُـــورَ طَلْعَتِهـــا وَضـــيئًا عـــلى كَــفِّ الــدِّما يَــوْمَ الحِســابِ



على جُنْح الرَّدَى[1]



طَــيْرٌ عــلى جُــنْحِ الــرَّدَى مُهــاجِرٌ مِــنْ حِمْلِــهِ يَشْــرِي الفَنَــا بِــلا ثَمَــنْ

مُسْــــتَذْكِرًا أَعْبــــاءَهُ فــــي رِحْلَــــةٍ أَخْنَــى عــلى فُصُــولها نــابُ الــزَّمَنْ

أَعْيَــــا شَــــقاءُ عُمْــــرِهِ تَــــدْبيرَهُ فَانْتابَــــهُ فــــي رَصْــــدِهِ مــــا لم يَظُــــنّ

فــــي حِيلَــــةٍ خابَــــتْ مَســــاعِي دَرْبِهــــا كَيْــفَ الصَّــفا مُســاوِرٌ أَهْــلَ الظَّعَــنْ!؟

---

[1] هذه الأبياتُ مُسْتوحاة من نصّ نثري شاعريّ للأديبة فاطمة طايع بعنوان «حين يرحلُ الفلامينغو»:

هناك ... عند حافّة قاربٍ قديم، بجوارِ صخرةٍ عنيدة،

ينتصبُ وحيدًا على ساقٍ طويلة، بِصمْتٍ باهتٍ يَرْقَبُ موتَه، موتَه الرَّحيم!

عبثاً يكتُمُ كلماتِه، باتَ الآنَ ينثُرُها مِلحًا من زَبده، يتنازلُ للموجِ عن شَهْوته

لا أحدَ يُطيلُ التحدّيقَ فـي عينيه، إلّا ويُصابُ بالهذيان

وهناك ليس بعيدًا جِدًّا، أُنْثى تَنْفقُ عطَشًا، بجناحٍ مهشَّم، كَسَرتْهُ لها الرِّيح ...

بل آخر رَقْصة! فـي رُكْنِها الكئيب

حين كانَ طائرًا رشيقًا، وكانت ملكةَ السّرْب، بجناحينِ ورديَّيْن،

تُرفرِفُ ... ترقُصُ ... تَطِير، لتتلاشى خلفَ الغيمِ ...

وتعود لنفْسِ الشَّاطئ، تتأمّلُ فضاءَ الأُفقِ الشَّاسِع

ثمّةَ موتٌ رحيمٌ آخر، يترصّدُها هي أيضًا، يلمعُ على حافّةِ نَصْلِ رغْبَتِها

يا حبيبي! حينَ يرحلُ طائران، حين يُرهِقُهما الزّمكان

حين يتواريَان، تظلُّ كلّ مواسم الحبِّ، فـي غيابِهما ... مُسْتَمِرَّة!

القَهْـــرُ يَقْتـــاتُ بَـــواقي عُمْـــرِهِ ومَوْتُـــهُ الـــرَّحِيمُ يَسْـــعَى لِلكَفَـــنْ
زَفْراتُـــهُ قَـــدْ نـــاوَأَتْ كِتْمانَهـــا تَزيـدُ فـي أُجـاجِ بَحْـرٍ مِـنْ شَـجَنْ
لِلْمَـــوْتِ بـــاعَ حُلْمَـــهُ مُسْتَرْسِـــلًا: يـا مَـوْتُ مـا نَفْـعُ البَقـاءِ فـي الـوَهَنْ!؟
أَهْـــدَيْتُكَ النَّـــبْضَ الـــذي مُـــذْ ذُقْتُـــهُ أَدْمَـى فُـؤادي كَـمُّ هاتِيـكَ الـمِحَنْ
هَـــلْ راحَـــةٌ تُهْـــدَى لقَلْـــبٍ تائِـــهٍ تَحْتَ الثَّرى، بَـيْنَ الحَصَـى، كَـيْ أَطْمَئِنّ؟
مَـــمْجُوجَةٌ أَيَّامُنـــا إِنْ لَـــمْ نَجِـــدْ أَحْلامَنـــا تَحْيَـــا عـــلى أَرْضِ الـــوَطَنْ



يا وَيْحَ الحِسَان



كان فـي الحقل وسطَ الأزهار، يَنْشدا قربًا فارِهًا، يُسمِعها أشعارَه فتُسْمِعُه دقّاتِ قلبها؛ تَمنّيا ألّا ينقضي ذلك الوقت، فإذا به يستيقظ من منامِه على أجمل حلم.

بَـــدَتْ بـــينَ السَّـــنابلِ فـــي الصَّـــباحِ كقُـرْصِ الشَّـمْسِ فـي وَجْـهِ الـمِلاحِ

يُعانِقُهــــا النَّســــيمُ فــــلا يُبــــالي إذا ســـــكِرَتْ تَـــــرانيمُ الرِّيـــــاحِ

وفـــاضَ العاشِـــقونَ عـــلى مَـــداهُ ونـــامَ الرَّاشِـــدونَ عَـــنِ الفَـــلاحِ

ولكــــنَّ الغَــــدائرَ مِثْــــلُ لَيْــــلٍ يَطـــولُ ولا يُبالـــي بـــالرَّواحِ

إذا وَرَدتْ عــــلى قَلْــــبٍ جــــريحٍ تَعافَـــى مِـــنْ مَـــآلاتِ الجِـــراحِ

كَـــأنَّ الوَصْـــلَ أَنْجـــاهُ بِـــبُرْءٍ كـــما يُنْجـــي الـــدَّواءُ مِـــنَ الكُســـاحِ

***

يُـــدافِعُني الجِـــماحُ إلى هَواهـــا فأُلْجِمُـــهُ ويَعْصِـــيني جِمـــاحي

أُذكِّــــرُهُ بِــــأنَّ العِشْــــقَ رُزْءٌ وحِفْـظ القَلْـبِ مِـنْ أَثَـرِ الصَّـلاحِ

فيَخْـــذُلني ويُنْكِـــرُهُ حَـــديثي ويَرْمِينـــي عـــلى خِـــلِّي جَنـــاحي

***

أَيــــا وَيْـــحَ الحِســــانِ إذا تَجلَّـــــتْ يَحـــارُ الـــمَرْءُ فـــي مَسْـــكِ الــمُباحِ
ويـــا وَيْـــحَ القُلـــوبِ إذا تَهــــاوَتْ عـــلى مَرْمَـــى مِـــنَ الفِـــتَنِ الصَّـــحاحِ
ويـــا وَيْـــحَ الحيـــاةِ بـــلا رَشـــيدٍ إذا اكْتَنَـــــزَتْ بأَنْصـــــالِ الرِّمـــــاحِ



الأيَّامُ حُبْلَى بالدَّوَاهِي

لا يمكن أن يبقى ظلمُ البشر بعضَهم بعضًا من دون عقاب؛ فإن فطنَ العقلاء إلى ذلك وتداركوا الأمر، فقد أحسنوا إلى غيرهم وإلى أنفسهم، وإلّا عمّ البلاء جميعَ الناس.

ضَـــجِيجٌ فـــي تَضَـــاعِيفِ اللَّيَالـــي
وَلَيْـــلٌ مِـــنْ وَراءِ الشَّـــمْسِ قـــادِمْ

أَيَبْقـــى دُونَ نُـــورٍ أو غِيَـــابٍ
ويَبْقَـــى اللَّحْـــظُ مَبْغُـــومَ الـمَعالِـــمْ!؟

هِـــيَ الأَيَّـــامُ حُـــبْلَى بالـــدَّوَاهِي
كَـــما الأَيَّـــامُ حُبْلَـــى بالـمَظالِـــمْ



تَطَهَّرْ مِنْ ظَمَأ

ريُّ النفوس بالكلمة الطيّبة والـمبادرة الحسنة كَريِّ الأرض العطشى بالغيث والـماء؛ فإذا توضأ القفر بالـماء أينع من جديد.

عَـــــنْ رَعْشَــــــةِ حُــــبٍّ تُحْيِيهــــــا
غَـــــيْماتٌ تَنْهَــــــــرُ غَـــــــيْماتِ
فيَصـــــــيرُ الحُلْـــــمُ بِــــــلا عَــــتْمٍ
ويَصِـــــــيحُ بــــــأَعْلى أَصْــــــواتِ:
يـــــا قَفْــــرُ تَطَهَّــــرْ مِــــنْ ظَمَـــأٍ
وتَهيَّـــــــأْ لِلغَيْـــــــثِ الآتــــــــي



ثمّةَ نُور[٢]

الحلمُ الـموعود رُشاشةٌ من نور وقبسةٌ من أمل، ربّما هو أقرب ممّا يتصوّره الـمرء، لا يمنعُه من الوصول إلّا الإيمان بقدومه والابتعاد عمّن يكدّره أو يعوقه.

نُـــــورٌ هُنالِـــكَ يَنْتَظِـــرْ		خَلْـــفَ النَّوافِـــذِ والجُـــدُرْ

لا تَحْجُـــبَنْ عَنْـــهُ الـــمَدَى		فـــالحُلْمُ فِيـــهِ قَـــدْ قُـــدِرْ

أَشْرِعْ لَـــهُ قَلْـــبَ الصَّـــفا		كَـــيْ لا يَغِيـــبَ عَـــنِ النَّظَـــرْ

حـــاوِرْ سَـــديمَ شُرُوقِـــهِ		واصْرِفْ بـــهِ أَهْـــلَ الكَـــدَرْ

أَطْلِـــقْ لَـــهُ عَـــيْنَ الـــمُنَى		تَلْـــقَ اليَبَـــاسَ وقَـــدْ خَضِـــرْ

هـــذا الـــمَدَى مُتَشـــاعِرٌ		فِيـــهِ حَبِيـــبٌ يَنْتَظِـــرْ

---

[٢] هذه الأبياتُ مُسْتوحاة من نصّ نثري شاعريّ للأديبة ليلى أحمد بعنوان «ثَمَّة نور»:

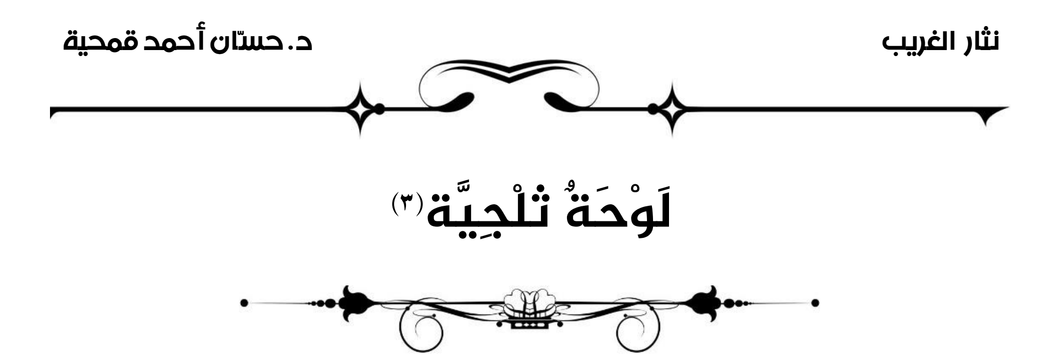
لا تُغلِقِ النافذة، ثمّة نور،

لا تُغلِقِ القلب، ثمّة نبض،

لا تُغلِقِ العقل، ثمّة حوار،

لا تُغلِقِ العين، ثمّة خضرة،

الـمدى ينتظر الكثيرَ من الحبّ.



لَوْحَةٌ ثلْجِيَّة[٣]

بديعٌ منظرُ الثلج، ذاك البساط الأبيض، ساحرةٌ لوحاته التي يرسمها، عندما يكسو الأشجارَ الجائعة، والأرض اليابسة، والبيوت الوادعة، فيَعِدها باستفاقةٍ جديدة وربيعٍ مُشْرِق.

كَلُؤْلُـــؤٍ مِــــنْ غَـــيْرِ مـــا حُــرَّاسِ تَقَـــاطَرَتْ نَـــدائِفٌ مِـــنْ مـــاسِ

مَنْحُوتَـــةٌ أَصْـــدافُها مِــــنْ غَيْمَــــةٍ مَرْجُـــوَّةٍ، كالبِشْـــرِ فـــي الأَعْـــراسِ

تُلَـــوِّنُ الأَغْصـــانَ مِـــنْ خَـــيْرِ السَّـــما فَـــتَخْلِطُ الأَنْفـــاسَ بالأَنْفـــاسِ

---

[٣] هذه الأبياتُ مُسْتوحاة من نصّ نثري شاعريّ للأديبة فاطمة طايع بعنوان «بِلَّوْرَة الثلج»:

غُبار الـماس، قطرةً قطرةً يترسّب لؤلؤيًا؛

بخار الـماء كريستالة شجريّة، دقيقة بدون أغصان؛ منحوتة الرحمن

عروضٌ بصرية على سلك الكهرباء؛

بهلوانة الثلج، ضباب ثلجي،

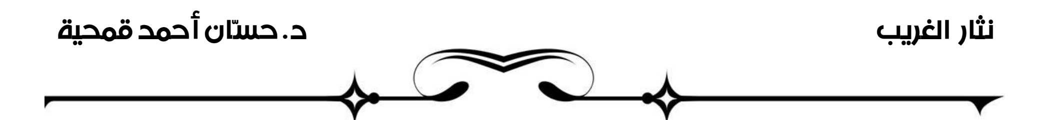
تارةً منخفضة وتارةً عالية؛

تنهّدات الغليُون، فـي الشتاء،

لـماذا تُشْبهين بلّورة الثلج؟ دومًا مُكَهْرَبَة!

وتَخْطِــفُ الأَبْصــارَ مِــنْ أَحْوالِهــا وتَضْــرِبُ الأَخْمــاسَ فــي الأَسْــداسِ

فــي لَوْحَــةٍ أَعْيَــا الأنامِــلَ رَسْــمُها مــا مِثْلُهــا فــي الطِّــرْسِ والقِرْطــاسِ



أمَا لِلْعاشِقِينَ لَدَيْكَ جُنْحُ؟



كم هي حزينةٌ أرضُ الرسالات اليوم! ونزفُ جرحها يُدْمي القلوب؛ فصبرًا يا شآمَ الهوى على البلوى، فلابدّ لعمود النُّور أن يستقرّ في أرضكِ المباركة كما وعدنا حبيبنا المصطفى ﷺ.

أَحَقًّا يا دِمشقُ دَهاكِ جُرحُ ... وطالَ بَنيكِ إِرْهاقٌ ونَزْحُ!؟

أَحَقًّا في رُبَى بَرَدَى عَوِيلٌ ... لَهُ في العابِرينَ صدًى يُبَحُّ؟

وقَلْبُ الغُوطَةِ الشَّمّاءِ شاكٍ ... على زَفَراتِهِ نَغْفُو ونَصْحُو

عَصِيٌّ أَنْ أَنامَ وأَنْتِ ثَكْلى ... وخَلْفَ أَضالِعي نَزْفٌ يَسِحُّ

ذَكرتُكِ والحَنِينُ لهُ أَنِينٌ ... وصَوْتُ أَنينِهِ نَشْجٌ ونَوْحُ

أَقولُ: دِمَشْقُ يا شَمْسًا تَعالَتْ ... إذا أَفَلَتْ فَما للكَوْنِ صُبْحُ

وإن خَطَرتْ يُغازِلُها فُؤادِي ... فَما لِسَعادَتي في الوصفِ شَرْحُ

قِفارٌ كُلُّ أَرْضٍ ما عَداها ... وشامُ المَجْدِ أَرْزاقٌ وقَمْحُ

وكُلُّ سَعادَةٍ في العُمْرِ زَيْفٌ ... إذا نابَ الشآمَ ضَنًى وتَرْحُ

***

أَيــا طَــيْرًا يُســافِرُ فــي الأَعالــي أَمــا لِلْعاشِــقينَ لَــدَيْكَ جُــنْحُ!؟

أَزُورُ بِـــهِ مَغانِيهـــا فأَهْنـــا ويَكفِينـــي بِهـــا خُبْـــزٌ ومِلْـــحُ

إذا شُـــجَّتْ دِمَشْـــقُ فأَبْرِئُوهـــا فـــأَرْضُ دِمَشْـــقَ لِلإِيـــمانِ صَرْحُ



أنْتِ يا قَدْسُ أوْلَـى بالـمَسِير



باقون يا قدسَنا، يا عروسَ الـمدائن، على الوعد، لن يقرّ لنا قرارٌ حتى نراكِ حرّةً شامخة، متربّعة بين أخواتِك العربيّات بلا قيد ولا أَسْر.

أَنْتِ قَصْدِي حِينما يَغْفو العُبُورْ

ومُرادِي فـي زمانٍ لا يُبالِـي بالجُذُورْ

وانْجِلاءُ العَتْمِ عن لَيْلِ الضُّمُورْ

ورَبِيعي يَوْمَ تَأْبَانِـي الزُّهُورْ

***

فـي مَقاماتِ الأَمانـي، فـي لَيَالـي التائِهينْ

بَيْنَ أَوْرادِ الحيارى، بَيْنَ عَزْمِ الحالِـمِينْ

فـي ارْتِدادِ الشَّوْقِ عَنْ دُنْيا الحَنِينْ

أنتِ يا قَدْسُ أَوْلَـى بالـمَسِيرْ

***

قِصَّةُ الإِقْدامِ نَسْجٌ من دِماءْ

وعَرِينُ الـمَجْدِ مِنْ عُرْسِ السَّماءْ

والـمَعالـي من لُغاتِ الأَقْوياءْ

فَاعْمُرِي يا قُدْسُ بالصَّدْرِ الشُّعُورْ

***

يا فِلَسْطِينُ تَباهِي «وَاسْحَبِي

فـي مَغانِيكِ ذُيُول الشُّهُبِ»

ذِكْرُكُ الأَسْمَى فَخارُ الكَوْكَبِ

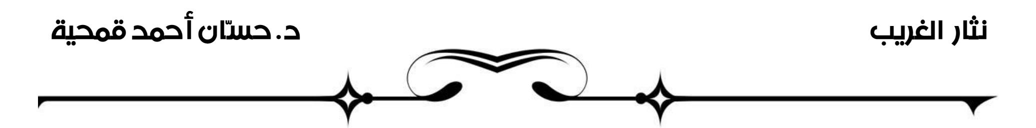
فارْسُمِي بالخُلْدِ أَسْرابَ الطُّيُورْ



لكِنْ تَؤُوب

بين حلاوة الاستقامة وقباحة الذنب، بين سموّ الروح ودونيّة الجسد، بين أريج الطاعة وضلال الشرود، يتجلّى الفارقُ بين السكينة والاضطراب؛ فيدرك المرءُ ضعفَه وانكسارَه في ملكوت خالقه جلّ جلاله.

مَهْـــــلًا، أَمـــــا زالَـــــتْ تُعـــــاقِرُكُ الـــــذُّنُوبُ؟
تُلْقِـــــي عَلَيْهـــــا تَوْبَـــــةً، لكِـــــنْ تَـــــؤُوبُ
بـــــالأَمْسِ أَطْلَقْـــــتَ العَنـــــانَ لِجَوْلَـــــةٍ
ووَعَـــــدْتَها، ولِســـــانُ حالِـــــكَ لا يُجِيـــــبُ
طالَعْـــــتُ فـــــي أَوْزارِ فِعْلِـــــكَ قِصَّـــــةً
مـــــا لِلْخَطيئَـــــةِ عَـــــنْ مَفاصِـــــلِها هُـــــرُوبُ
أَيْـــــنَ الشَّـــــهادَةُ؟ كَـــــمْ نَطَقْـــــتَ بِبُرْئِهـــــا!
وتَرَكْتَهـــــا مَكْسُـــــورَةً لا تَسْـــــتَجِيبُ
واليَـــــوْمَ تَـــــأْوِي لِلظَّـــــلامِ مُمَجِّـــــدًا
مـــــا لِلْعُـــــلا فـــــي الـــــخانِعِينَ نَصِـــــيبُ



كَيْفَ لـي أنْ أخاصِم!؟



لابدّ للمتعبين من حضنٍ دافئ يُنْسيهم مرارة النَّصَب، ويميط عنهم أوجاعَ الأذى، فكيف إذا كان ذلك الحضنُ أليفًا إلى القلب أنيسًا إلى الروح.

كيـفَ لـي أَنْ أُخاصِمَ البَـدْرَ يومًـا ... ولَيالـي الجَمـالِ تَزْهُـو بِبَـدْرِ!؟

جِئْـتُ أَسْـتَرْخي مِـنْ غُثـاءِ حَيـاةٍ ... فاعْـذُريني، لا تَـبْخَلي فـي عُـذْري

هَـلْ تَظُنِّـينَ مـا أُخَبِّئُـهُ فـي النْـ ... ـنَفْسِ، مِـنْ لُـجَّةِ النَّـوَى، لَـيْسَ يَفْري

أنـا يـا بِنْـتَ خـافِقي بَعْـضُ صَـمْتٍ ... أو سُكاتٍ، حَسْبِي جِراحِي وكَسْري

عـارَكَتْني مِـنَ السِّـنين صُرُوفٌ ... وانْتَجانِـي بُعْـدٌ نَـما فـي صَـدْري

***

جِئْتُـكَ الآنَ كَـيْ أَبُثَّـكِ آلا ... مِـي وحُزْنـي ومـا رَبـا مِـنْ قَهْـرِي

جِئْـتُ كَـيْ أَسْـتَريحَ بـينَ الحَنايـا ... فـاجْعَلي فـي حِمَـى ضُـلُوعِكِ قَصْـري

جِئْـتُ كَـيْ أَنْسَـى عَـبْرَةً أَرْهَقَتْنِـي ... خَبَّأَتْهـا الظُّنُـونُ فـي بَيْـتِ سِرِّي

جِئْـتُ حَتَّـى لا أَكْتَـوِي كالحَيـارَى ... خَلْـفَ لَيْـلٍ مُعَـذَّبٍ فَـوْقَ جَمْـرِ

كُـلُّ بُعْـدٍ لا أَرْتَضِـيهِ، فَقُولـي: ... كَـمْ لِقُـرْبٍ أَحْتاجُـهُ مِـنْ مَهْـرِ؟

***

تـــاقَ عُمْـــري لِنَسْـــمَةٍ مِـــنْ حَبيـــبٍ فـــاجْعَلي مِـــنْ شَـــذا وِصـــالِكِ عِطْـــري

واحْضُـــنِيني عـــلى عُيُـــونِ الـــمَرايا لا تُبالِـــي بِعاتِـــبٍ لـــيسَ يَـــدْري

كُـــلُّ فَصْـــلٍ عِنْـــدِي رَبيـــعُ حَيـــاةٍ إِنْ تَكُـــنْ فـــي الهَـــوَى تَراتِيـــلُ فِكْـــري

أنـــتِ عِنْـــدي، هَـــلْ تَعْلَمِـــينَ؟ رُوَيْـــدًا، سِـــفْرُ عُمْـــرٍ، يَغْـــذُو مِـــنَ الحُـــبِّ ذِكْـــري

فـــاذْكُريني عـــلى رَقِيـــقِ الـــمَعانـــي لا تَقُولـــي يَوْمًـــا: تَنـــاءَى سِـــحْري

قَـــدْ تُـــوارَى النُّجـــومُ، لكِنَّهـــا تَبْــــقَى، لَـــدَى الـــماضِينَ الأُلَـــى، فَخْـــرَ دَهْـــرِ



أغْلَقْتُ بابي

يا لهذه النفس التي أَعْيَاها التعب، ما برحت تُداري وتُجامِل، تتجاهل وتتغافل، حتّى وجدت في العزلة والانزواء راحةً لها من الضجيج وأهله.

أَغْلَقْتُ بابِي فَلِي قُفْلٌ ومِفْتاحُ　　　أَحْيَا عَلى أَمَلٍ تَغْشَاهُ أَرْوَاحُ

وحُجْرةٌ في حَنَايا النَّفْسِ أَسْكُنُها　　　وغُصَّةٌ ما لَهَا في الحظِّ إِفْصَاحُ

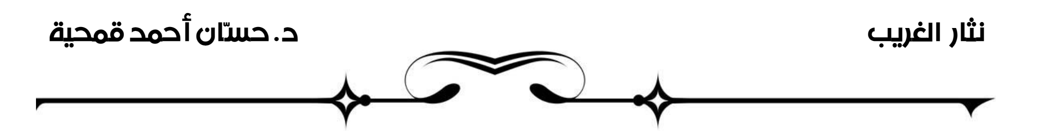
يُثَرْثِرُ النَّاسُ أَفْكارًا مُنَمَّقَةً　　　لَمْ يَبْقَ لي في وُعُودِ النَّاسِ مِصْباحُ

تَشْكُو الحَقيقَةُ مِنْ زَيْفٍ ومِنْ كَذِبٍ　　　إذا تَصَدَّرَ قَدَّاحٌ ومَدَّاحُ

أَيَحْسَبُ المَرْءُ أَنَّ اللِّينَ مَأْمَنُهُ　　　وَسْطَ الحَشائِشِ ثُعْبَانٌ وتِمْسَاحُ

باعَ الذينَ سَما بالأَمْسِ مَنْطقُهُمْ　　　عَهْدَ الصَّلاحِ وسَعْيًا فيهِ إِصْلاحُ

إِنَّ المَصالِحَ تُرْدِي كُلَّ مَنْقَبَةٍ　　　كما تُطَوِّحُ بالسَّكْرانِ أَقْدَاحُ



ضَيْفٌ بلا دَعْوَة: الهَرَمُ ضَيْفٌ ثقِيل[٤]



يذوي الجمالُ الظاهر عندما تزوره الشيخوخة، وتُعْمِل فيه عملَها، فيبدو مثل زهرةٍ كانت يانعة نضِرة فوّاحة، ثم آلت إلى صفرةٍ وذبول.

ماذا صَنَعْتَ؟
يا وافدًا، لم نَدْعهُ أن يَقْدُما
زِدْتَ الحياة فَجاجةً، وتَلَعْثُما
كيف انتزعتَ؟
مِنَ الشبابِ جَمالَهُ الـمُتنعِّما؟
وتركتَ
فـي شَرْخِ الصّبا
قَفْرًا يفيضُ تشيّخًا وتَألُّـما
***

[٤] تعود مناسبةُ هذه القصيدة إلى أنّني قرأتُ سيرةَ شاعرةٍ مرموقة كانت لها بصمةٌ كبيرة فـي تاريخ الشعر العربـي الحديث، وقد أحزنني كثيرًا ما علمتُه عن السنواتِ الأخيرة من حياتها، حيث أخنى عليها الـمرضُ والتشيُّخ، فاحتجبَتْ عن الناس وامتنعَت عن مقابلتهم، ولاقت وجهَ ربِّها الكريم غريبةً كئيبة، فطافت بـي خواطرُ عن هذا القادم القاسي الضاري أفرغتها شعرًا، إنَّه الهَرَمُ وملامح الشيخوخة، فوجّهت رسالتي إليه معاتبًا ومقرِّعًا.



عِدْنـي بأنّك لن تعودَ، لتَعْتذرْ

أنا لا أصدّق ما يُنافِقه الهذَرْ

فصَنيعُ دأبِكَ فـي رُبانا مُنْتَشِرْ

ومضى مِنَ العمر الشبابُ الـمُرْتَضى،

والـموتُ أَصْدقُ مُنْتظِرْ

***

لا، لن يفيدَ عتابُنا، شرخُ الشباب تجرّحَا

وأتى الخريفُ على الربيعِ وطَوّحَا

وعلى القِفار غَمامةٌ قد أحجمَتْ أن تفْرحا

عَزَمَتْ على أن تَسْتقيلَ وتَنْزحا

فلقَدْ تُلاقي فـي سوانا مَسْرحا

تُجْري عَلَيْه لُبابَها، فكأنّه من بَعْدِ ليلٍ أَصْبحا

***

يُدْمي فُؤادي أن أرى جَدْبَ الحِمى مُتَسيّدا

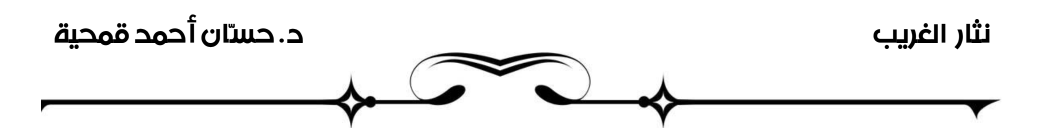
وأرى نَضارًا قد تكحَّلَ بالقِفارِ وأَرْبَدا

وأرى الشبابَ رهينةً، أَخْنَى عليه مآلُه فتبَدّدا

فأَوَى إلى ركنٍ بعيدٍ، لن يُطالَ ويُقصدا

يا ويحَهُ ذاكَ الذي خطفَ الحياةَ وهدّدا

هَلْ لـي، وإن شاغَبْتُ، إلّا أن أُطيعَ وأَحْمدا!؟



أسْوَارُ الـمَساء



يا أيّها الليلُ الساكن الصامِت، يا مهدَ السكون، خُذْنـي إليك من ضجيج هذه الحياة الصاخبة، دَعْني للأمانـي والخيال، أغفو على ضحكاتٍ جميلة وأحاديثَ وادعة حَفيّة بدافِئِ الأسرار، أنشد أيامًا تأتـي بالـمستحيل. أيّها الليل الجميل، يا مُسْتراح القلوب من كلّ عبءٍ ثقيل، دمتَ لـي موضعَ الأُنْس والحبّ والجمال.

أَيْنَ يُتلى الأُنْسُ؟ قالُوا فـي العَراءْ
تحت نجمٍ، خلفَ أسوارِ الـمَساءْ
فـي هدوءٍ لا يُدانَى
يا شَجِيًّا قَد شجانا
فـي خَيالٍ سادرٍ نحوَ الفضاءْ

***

ليسَ يَمْضي الحُلْمُ للأفقِ البعيدْ
يَسْتَبيحُ القيدَ، يَسْمو من جديدْ

يُطلِق البَوْحُ عِنانَهْ

راسِمًا منه جَنانَهْ

إن يَدُمْ فـي أسرِهِ هذا العَنِيدْ

***

أَطْرِبيهِ يا بنيّاتِ القصيدْ

واملئي أوتارَهُ لحنًا غَريدْ

لم يَعُدْ يهوى زمانَهْ

أن يُغشّى بالرطانَةْ

فَهُوَ اليومَ خَلِـيٌّ وسَعيدْ

***

أَطْرِبيهِ قبلَ إقبالِ الصّباحْ

وضَجِيجِ السَّيرِ فـي أرضِ الجِراحْ

لا تقولـي كيف كانَ؟

أو لـماذا اليومَ لانَ؟

حسبهُ ماضٍ تَسلّى بالنُّواحْ

***

أَطْرِبيهِ كيفَ شِئْتِ يا ليالـي

قبلَ أن يُرمى صَفاهُ بالجدالِ

وانشري فـي سَماهُ

ما يقولُ،

ما يراهُ:

كَمْ يغارُ الضوءُ من دِفْءِ الظلالِ!

***

اكتفى ماضِيه من لَسْعِ الأنامْ

وسهامٍ لم تكن مثلَ السِّهامْ

يَنْتَشي القلبُ منهُ باهدوءْ

ووضوءٍ فـي زمانِ اللاوُضوءْ

كيف يَلْقى مُرْتجاهُ فـي الزِّحامْ!؟

***

صَمْتهُ ملَّ سَخافاتِ الكلامْ

فَدَعَتْه نَفْسهُ نحوَ الظلامْ

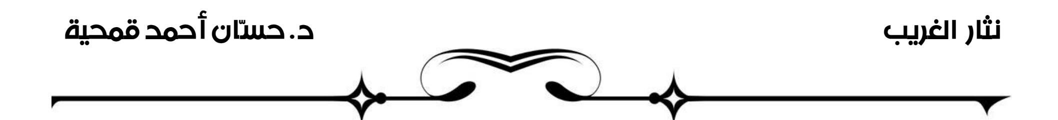
حيث يَلْقى ما يريدْ

هدأَةَ اللَّيْل الرّغيدْ

وأَحاديثَ سُكونٍ لا تَنامْ

***

وانقضى ذلك الحلمُ الجميلْ



فـي انتظار الليلِ يأتـي كالخليلْ

مُسْفِرًا عن سكونْ

يَبْتَغيه الحالـمُونْ

أن يكونْ

فـي زمانِ الـمُسْتحيلْ



تَأمُّلات: ماذا لَدَيْك؟



فـي القربِ منه إسباغٌ للنِّعم ظاهرةً وباطنة، جنّةٌ فـي القلب آثارُها عامرة، رحمةٌ لخلق الله ولكلّ عينٍ ناظرة؛ فـي القرب منه حياةٌ من الصبر يكلِّلها الرضا، نورٌ على الدرب للأرواح الحائرة، وصبغةُ الله فـي الحسن والجمال.

أَلَدَيْكَ دِفءٌ تَصْطفِيه مِنْ بَرْدِ الفُتورْ؟

وتعود فـي أفيائهِ كالطيرِ فـي عشٍّ قريرْ؟

يَهبُ الحياةَ على رَغْمِ الظّما ريًّا كثيرْ

فيُرَى شجيُّ القلبِ مِنْ فرحٍ يَطيرْ

***

ماذا لَدَيْك؟

أَلَدَيْك غيمٌ ماطرٌ يَحْنو على ظَمَأِ الفقيرْ؟

تَلْقى به فَضْلَ الظلالِ على الهَجيرْ؟

فـي بَسْمةِ الإِبْلالِ للقلبِ الـكَسيرْ

فـي عالـمٍ لا يشبهُ الحظَّ الضَريرْ

***



ماذا لديك؟

أَلَدَيْك دَأْبٌ يَغْتذي مِنْه عِطاشُ الدارسينْ؟

يَسْمو على إيقاعِه نورٌ يُضِيء مِنَ الدُّنا عتمَ السِّنينْ؟

تمضي به كالفائزِ الـمزهوّ مرفوعَ الجبينْ

فطهارَةُ الفَجْر الوَضي لا تَحْتَفي بالنّائِمينْ

***

ماذا لَدَيْك؟

أَلَدَيْك قلبٌ لا يَمَلُّ مِنَ الصلاةْ؟

يغزو القَطيعةَ بالتقرُّبِ والصِّلاتْ؟

صافٍ يعانق عفوُه كَدَرَ الجُفاةْ

وإذا استُغيظَ، فلا سِهامَ ولا شَباةْ

***

ماذا لديك؟

أَلَدَيْك رُشْدٌ لا يجاري السّادرينْ؟

فـي ظلمةِ الإغْواءِ يَمْضي مُضِيَّ الرّاشِدينْ؟

ويجود بالنصحِ اللطيفِ الـمُسْتَبينْ

فيَجوز كلَّ محطّةٍ تُغْوي فؤادَ الشاردينْ

***

ماذا لَدَيْك؟

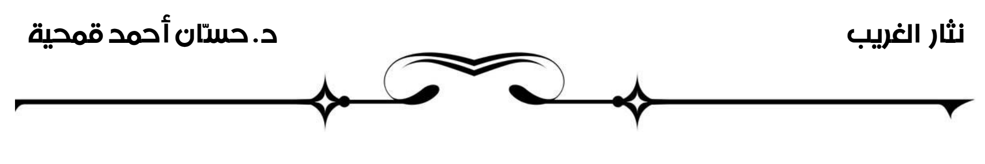


أَلَدَيْك من نسلِ الحقيقةِ بارقٌ نَسَجَ العقولْ؟
يغدو به ليلُ الضلالةِ فـي غِيابِ اللاقُفولْ؟
والحقّ يرسمُ ضوءَه، لا يَنْزوي خلفَ الأُفُولْ
ويَسِير فـي هَدْيِ الخُطا، حتّى يُكلَّلَ بالوصولْ

***

ماذا لديك؟

أَلَدَيْك دَرْبٌ لا يُرامُ ولا يُغالْ؟
فيهِ الْتَقَتْ غُرَرُ الـمَحبَّةِ والجمالْ؟
فصَفَتْ سَحابَةُ عَيْشِهِ وسَما الخيالْ
ورأيتَ فيهِ ما يُقالُ ولا يُقالْ



بَيْنَ الكَلِماتِ أرَى سَعْدي



جميلةٌ هي الوحدةُ عندما يتعالى الضجيج، ويكثر الهرج، ويتكاثر الصخب، ويضيق الأفق.

أَغْلَقْـــتُ الصَّـــدْرَ عـــلى حُزْنـــي وسَـــكْبتُ الحلـــمَ عـــلى نـــاري
وجَعَلْـــتُ لبُعْـــدي مَنْزِلـــةً تُـــؤْويني مِـــنْ حـــرِّ نهـــاري
بَـــيْنَ الكَلِـــماتِ أَرَى سَـــعْدي أَنْثُرُهـــا مِـــنْ خَلْـــفِ جِـــداري
أَلْقاهـــا كنســـيمٍ يَحْبـــو ويعطِّـــرُ قَلْبـــي وجِـــواري
أَحْفظُهـــا فـــي دفقـــةِ رُوحـــي أو بـــينَ «دَفـــاترِ أَشْـــعاري»

***

اِخـــترتُ البُعْـــدَ عَـــنِ الـــدُّنْيا ورِفـــاقٍ مـــن أَهْـــلِ العـــارِ
وَقْتِـــي فـــي العِلْـــمِ أُبـــدِّدُهُ فـــالعِلْمُ طريـــقُ الأَخْيـــارِ

***

كَـــمْ ضـــاعَتْ فـــي الهَـــرْجِ رُؤانـــا وَانْهَـــدَمَتْ أَرْكـــانُ الـــدّارِ!
وتَنـــافرَ خِـــلٌّ وصَـــديقٌ وتَعكَّـــرَ صافـــي الأَنْهـــارِ!
وتَـــدفَّق دَمُنـــا مَسْـــكوبًا فـــي لَوْحَـــةِ ثَـــأْرٍ ودَمـــارِ!
مـــا زالَ يُعكِّـــرُ لُقْيانـــا مَـــوْجٌ مِـــنْ ذاكَ الإِعْصـــارِ
فمَتـــى نَلْتـــئمُ عـــلى حُـــبٍّ ونُـــزيحُ الزَّيْـــتَ عَـــنِ النّـــارِ؟



تُساوي حيَاتِي[٥]

تقول له: تأسرني تفاصيلُك الصغيرة، تُبْهرني كلماتُك الجميلة، يُلَمْلمُني اهتمامُك، كلماتُك لا تشبه ما أعرف، تزجّ بي في عالمٍ من الخيال لا ينضب، عالمٍ ليسَ فيه سِواك؛ يا أَسَفي على عمرٍ مرَّ من دونك، ويا سَعْدي بحاضرٍ يُزيّنه حُضورُك.

تَراهــا شُــؤونًا صَــغيرةْ   وعِنْـدي تُسـاوِي حَياتِـي

[٥] هذه القصيدةُ مُجاراة لبعض معاني قصيدة لنزار قباني بعنوان «شؤون صغيرة»، يقول في مطلعها:

تمرّ بها أنتَ ... دون التفاتِ

تُساوي لديَّ حياتي

جميعَ حياتي ...

حَوادِث ... قد لا تثيرُ اهتمامَكْ

أُعمّر مِنها قُصُورْ

وأَحْيا عليها شُهُورْ

وأغزلُ مِنْها حَكايا كثيرةْ

وألفَ سماءٍ ...

وألفَ جَزيرَةْ ...

لـــــــدَيَّ حَكايـــــا كَثِـــــيرةْ أَخُـــــطُّ علَيْهــــا شَتاتِـــــي

***

تَوَقَّـــــفْ، أَعِرْنِــــي الْتِفاتًـــــا لأَغْـــــزِلَ مِنْــــهُ الْتِفاتـــــي
وأَبْنِــــي لِعُمْــــري قُصُــــورًا تَفُـــوقُ قُصُـــورَ الـــذَّواتِ
تَمُـــــرُّ علَيْهـــــا دُهُـــــورٌ فتَـــأْبَى طَريــــقَ الفَـــواتِ
وأَلْقَـــــى السَّـــــماءَ بُـــدُورًا تُحَــاكِي سَـــمائي وذاتِـــــي
فأَنْـــــتَ جَزيــــرَةُ حُلْمِــــي بِبَحْــــرٍ بَهِــــيمٍ وعــــاتِ
أَعِرْنِــــي اهتِمامًــــا لأَنِّــــي بِـــــدُونِكَ أَنْسَـــى حَياتـــــي

***

وخــــالِطْ شُؤُونـــي الصَّـــغيرةْ مَلَلْـــــتُ قُلُـــــوبَ القُســـــاةِ
فعِنْــــدِي حَكايــــا كَثِــــيرةْ أُلَــــمْلِمُ فِيهــــا شَتاتِـــــي

***

وحِـــــينَ أَكُـــــونُ مَريضَــــةْ ورَوْضِي قَليــــــل النَّبـــــاتِ
تَعهَّـــــدْ زُهُــــورِي الـــمَضِيضَةْ بسَــــقْيٍ يُقِيــــلُ فَلاتـــــي

***

وخُذْنِــــي إليــــكَ، وقُــــلْ لـــي: سآتِـــــي إليـــكِ سآتِـــــي
لأُحْضُـــــنَ فيــــكِ ضُـــلُوعِي فتَصْـــــرُخ: هَـــذي فَتاتـــــي
وأَمْسِــــكْ يَـــــدَيَّ بِرفـــقٍ ففيــــكَ وَجَـــدْتُ نَجاتـــــي
ســـــأَبْكِي بـــــرَغْم سُرُوري دُمُــــوعِي تَزيــــدُ أَناتـــــي

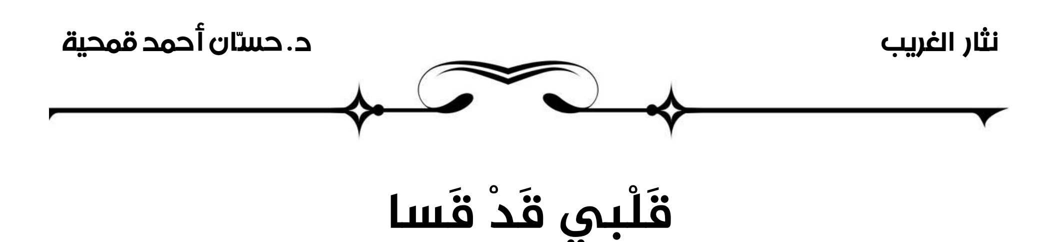
فأَسْــــــدِلْ عَـــــــلِيَّ ثَباتًـــــا فقَـــــدْ ضَـــــلَّ عنِّــــي ثَباتــــي

ووَسِّـــــــدْ سَـــــدائِلَ شَــــعْرِي بصـــــــدرٍ رَقِيـــــقِ السِّـــــماتِ

***

ســــــتَبْقى شُؤُونــــــي صَـــــغيرةْ إذا كنــــــتَ صِـــــنْوَ الجُفــــاةِ

وتَبْقَــــــى جِراحــــي كَثـــــيرَةْ إذا خُنْـــــتَ قَلْبــــي وذاتــــــي



قَلْبي قَدْ قَسا



ليس كلّ اعتذار يعيد للقلوب صفاءَها، قد يكون نوعًا من العِتاب، لكنّه عتابُ تهدئة وليس عتابَ ندمٍ وتَصافٍ وإقرار وتجديد.

مُعْتَـــذرٌ إليـــكَ، لكـــنْ بِـــي أَسَـــى دَعْنـي مِـنَ الكَـلامِ، قَلْبـي قَـد قَسـا

عَكَّـرْتُ فــي فَـيْضِ العِتـابِ خـافِقي عُمْـري القَصـيرُ حَقُّـهُ أَنْ يُؤْنَسـا

لا لَـنْ تَـرى يَـوْمَ النَّـوَى مَـدامِعي أَسْـدَلْتُ أَسْـتارَ النَّهـارِ والـمَسا

إِنْ يَـدَّعِ الواشُـونَ أَنِّـي نـادِمٌ فَلْيَرْقُبـوا عَـوْدًا لـوَجْهي مُشْمِسـا



مَجْدُ النُّجوم

جاءت هذه الأبياتُ بمنزلة الـمداعبة بيني وبين صديق لـي من الباحثين الـمجتهدين؛ وقد عرف الطريقَ فهانت عليه الـمشقّة، وأدرك سموّ الهدف فأسرج العزيمة.

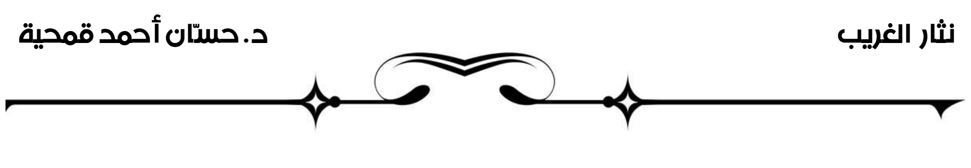
والحَقّ أنّكَ لم تَزَلْ ... في مَوْكبِ الفَجْرِ الطليقْ

فإذا وَصَلْتَ فَدُلّني ... عِنْدي رسائلُ مِنْ عَقيقْ

وإذا انتَهَبْتَ مِنْ العُلا ... يا حَبّذا أنتَ الرّفيقْ

شأني وشأنُكَ واحدٌ ... نَمْضي على ذاتِ الطريقْ

بينَ النُّجومِ سَبيلُنا ... مَجْدُ النجومِ بِنا يَليقْ



وَقْعُ الكَسْر في الأيَّامِ مُرّ



جاءت هذه الأبياتُ مجاراةً (ما بين قَوْسين للأستاذ الشاعر سعيد يَعْقوب). وفي هذا الغرض أقول: الصفعةُ التي تأتيك من غير احتراز تكون من مَأْمَن.

(وَجُرْحُ الجِسْمِ تُضْمِدُهُ اللَّيَالي) لَهُ في كلِّ واقِعَةٍ مُجِيبُ
ويَجْرحُ رُوحَنا خِلٌّ قَرِيبٌ (وجُرْحُ الرُّوحِ ليْسَ لهُ طَبِيبُ)
(وَلا أَثَرٌ لِمَا فَعَلَ الأَعَادِي) إذا اجْتَمَعتْ على الرَّأبِ القُلوبُ
وَوَقْعُ الكَسْرِ في الأَيَّامِ مُرٌّ (يَظَلُّ، إِذَا أَسَاءَ لَكَ الحَبِيبُ)
(وَقَدْ يَأتِيكَ خَيْرٌ مِنْ بَعِيدٍ) ويَأسُو جُرْحَكَ المَرْءُ الغَرِيبُ
وتَلْقَى في مَوَاقِفِهِ وِدادًا (وَقَدْ يَأتِيكَ بالشَّرِّ القَرِيبُ)
(وَقَدْ تَدْعُو القَرِيبَ فَلا يُلَبّي) وتَبْدُو قَبْلَ ناجِذِهِ النُّيُوبُ
ورُبَّ مُقَرَّبٍ يَنْأَى بوَصْلٍ (وَقَدْ تَدْعُو البَعِيدَ فَيَسْتَجِيبُ)



لَهْفِي عَلَيْك

أمـا اكتفيتَ مـن الجراحِ يا وطني؟ أَلَـمْ تُثْقلكَ النّوائب والبلايا؟ أَما لجرحك الغائر من طبيب؟ كيف آلَ العيشُ فيك غُربةً بعدَ أن كان هنيئًا مَريئًا؟ ولكنّ البعدَ عنكَ ما زالَ باعثًا للشوق والحنين؛ فليت ما أصابك كان كابوسًا مزعجًا ومضى.

لَهْفي عليكَ، فهذا الشوقُ قَدْ أَزِفا		يا مَوْطنًا في ظلامِ اليأسِ قد وَقَفا

ماذا تخبّئُ للأيّامِ جُعْبتُهُ؟		حُزْنًا تطاولَ أَمْ عَسْفًا ومُنْخسَفا؟

عبَّتْ مَعالِمُهُ مِنْ حَرِّ دَمْعتِهِ		حتّى إذا نَشِفَتْ، أبناءَهُ نَزَفا

كان الرَّبيعُ قُطُوفًا مِنْ مَحاسنِهِ		أَيْنَ الربيعُ؟ ومَنْ أَزْهارَهُ قَطَفا؟

حَمَلْتُ حبَّهُ في صَفْوِي ومُعْتَركي		فزادني دَنَفًا مِنْ بَعْدِ ما شَغَفا

كفى، فقلبي تَناهَى في مَواجِعهِ		من ذا يُسِيغُ له الذنبَ الذي اقْتَرفا؟

أَلْوَى على البُعْدِ حتّى صارَ مِيسَمَهُ		يا لَيْتني لم أَكُنْ في بُعْدِهِ طَرَفا

يا ويحَ نفسي إذا طالَ الزمانُ بنا		وفرّقَ الموتُ ما قَدْ كانَ مُؤْتلِفا



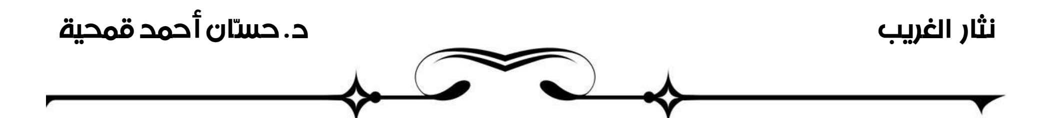
مِنَ الشَّهْدِ أطْيَب

تقول: لأجله أَهِيم حبًّا، أطير فرحًا، أتوقّد لهفة، أحنّ شوقًا؛ لأجله أُحبّ حياتي، أختالُ به فخرًا؛ بيني وبين ذاتي هو دُنْيتي، وربيعي الماضي والآتي.

أَتَيْتُ إِلَيْكِ وقَلْبي أَسيرٌ ... وعِنْدي مِنَ الشَّوْقِ نارٌ تَلَهَّبْ
وعندي حَديثٌ جديدٌ فأَصْغي ... إليهِ، مَلَلْتُ الحديثَ المُجَرّبْ
وبين ضُلوعي رسائلُ فاضتْ ... وخلفَ الرسائلِ قلبٌ مُعذّبْ
أُداري مَداها لَعلّي أَصُونُ ... غرامًا قَديمًا مِنَ الشَّهْدِ أَطْيَبْ
فداكِ فؤادي وعُمْري ودَأْبي ... وشِعرًا كتبتُ، وشعرًا سأكتبْ

***

وإِنْ تَسْأليني مَعارِجَ حبّي ... فإنّكِ عِنْدي منَ القلبِ أقربْ
فلا تَعْذُليني إذا غِبْتُ يومًا ... وقولي: حَبيبي أَديبٌ مُهذّبْ
ويومًا سأَبْدو عليكِ ثقيلًا ... سأمضي بعيدًا، وعنكِ سأذهبْ
ولكن، ستَبْقينَ عِنْدي كماءٍ ... زُلالٍ، أزورُ رُواهُ وأَشْربْ



ما ألْفَيْتُ خَيْرًا مِنْ بلادي



الوطنُ ذكرياتُ الطفولة والصبا، وبيتُ الأهل وصحبةُ الجيران. الوطنُ عفويّةُ المشاعر والأحاديث، الحضنُ الدافئ في يومٍ عاصف؛ والبعدُ عنه غُرْبةٌ تنتظر اللقاء.

قَضَـــيْتُ العُمْـــرَ عَـــن أَهْـــلي غَرِيبًـــا
وأَدْركْـــتُ الصَّـــبابَةَ والـمَشِـــيبا
وقـــادَتْنِي الحَيَـــاةُ بكـــلِّ صَـــوْبٍ
وَواجَهْـــتُ الـمَصَـــاعِبَ والخُطُوبـــا
فمَـــا أَلْفَيْـــتُ خَيْـــرًا مِـــنْ بِـــلادِي
وإِنْ أُجْـــبِرْتُ عَنْهَـــا أَنْ أَغِيبـــا



حَديثُ عَبَرْ

لا يعبأ الماضون في طريق المجد والعلا بحديثٍ بائس من هنا أو هناك، ولا يلتفتون إلى المُرْجِفين والمثبّطين.

أَتَيْتُ أُعاتِبُ عَنْكَ البَشَرْ
ومِلْءُ أَسايَ حَديثٌ عَبَرْ
حَديثٌ تَقاطَرَ في مَسْمَعَيَّ
وقَدْ قِيلَ فيهِ: فُلانٌ غَدَرْ
يُعكِّرُ صَفْوي صِغارُ النُّفُوس
وَتُصْغِرُ عَيْني قَبِيحَ الفِكَرْ
وأَعْجَبُ كَيْفَ يُكافا العَطا
بِغَدْرٍ تَخطَّى حُدُودَ الضَّرَرْ
سَيَبْقى مِدَادي بِبُرْجِ العُلا
رَفيعًا وَضِيئًا كَنُورِ القَمَرْ
يُضَاهي البَيانَ بِرَسْمِ القَوافي
ويَرْمي المَعالي بِطُولِ السَّهَرْ



سُوقُ العار

حَسِبهم أهلَه وإخوانه، سينصرونه إن عزّ النصير، ويجبرون كسرَه، ويُعينونَه على نوائب الدهر؛ فكانوا نارًا على ضعفه، وعونًا على ذلّه؛ لم يختبئوا في قهرهم له وراءَ الستار، بل أعلنوا ذلك على الملأ، غير آبِهين بصوت الضمير والرحمة، ولا بما لحقهم من العار والتخاذل. إنّ الرحمة من خصال القلوب الطيّبة العامرة بالإيمان، فمن بكى أمامَك وتألّم أطفئ بكاءَه، ولا تزد آلامه.

باعُونا في سُوقِ العَارِ   يا بِئْسَ الإِخْوَةِ والجارِ

لا عُذْرَ يُوارِي سَوْءَتَهُمْ   في هذا التَّرْكِ الغَدَّارِ

نَلْتَحِفُ الخِزْيَ ونَشْرَبُهُ   وَالسَّاقِي أَبْناءُ الدَّارِ

***

لم يَبْقَ نِداءٌ لم نُطْلِقْ   وَشَبِعْنا مِنْ كُلِّ شِعارِ

وَرَسَمْنا لَوْحاتٍ تَتْرَى   وَسَكَبْنا دَمْعَ الأَشْعارِ

لكنَّا لا نَلْقَى رَدًّا   إِلَّا أَعْذارَ التُّجارِ

***

تَسْـــــأَلُني نِسْـــــوانٌ ثَكْـــــلَى أَيَمُـــــوتُ كِبــــاري وَصِـــــغاري!؟
مـــا ذَنْـــبُ الحُـــرَّةِ كَـــيْ تَشْـــقَى وَتُحَمَّـــــــلَ وِزْرَ الفُجَّـــــــارِ
فـــي الوَجْـــهِ رِســـالاتٌ شَـــتَّى إِنْ قِيلَـــتْ يـــا وَيْـــحَ وَقـــاري

***

الـــــمَوْتُ يُلاحِــــقُ أَكْبـــادًا يَغْتـــــالُ رَبِيـــــعَ الأَزْهـــــارِ
حَـــيْرانٌ حِلْمِــــي وَفُــــؤادِي وشَــــقِيٌّ فـــي الــدَرْبِ قِطـــاري
وَلِـــــماذا، يَسْـــــأَلُ أَطْفالـــــي، نُرْمَــــى بـــــالبَرْدِ وبالنَّـــــارِ!؟
مـــا ذَنْـــبُ بَــــراءَةِ أَيَّـــامي؟ مـــا ذَنْـــبُ رِفـــاقي وجِـــواري؟



سألْتُ دَفاتِرَ التاريخ



كم دمعةٍ سيذرفها الناظرُ إلى حال العراق اليوم! عراقِ العلم والمعرفة، عراق مدرَسَتَيِ الرأي والحديث، عراقِ أساطين اللغة العربيّة، جُمْجمة العرب وعرين عزّتهم وسؤددهم وكرامتهم.

دَعِيني يا أُخَيَّةُ في طَريقي ... أُناجِزُ غاسِقًا قبلَ الشُّروقِ

أَبُثُّ مَشاعِري حِبْرًا عَلَيْهِ ... فَذاكَ اللَّيْلُ في الدُّنْيا صَديقي

ولمّا رُمْتُهُ يومًا دَعاني ... وداوَى خاطِري مِنْ كُلِّ ضيقِ

وصِرْتُ أَزُورُهُ في كُلِّ خَطْبٍ ... أُرَوِّي مِنْ نَسائمهِ شَهيقِي

وقلتُ لَهُ: حَديثي اليَوْمَ حُزْنٌ ... أَرَقْتُ نَشَيجَهُ في ماءِ ريقِي

***

ففي بَغْدادَ أَبْكاني حَريقٌ ... كأَنَّ لَظاهُ في قَلْبي ومُوقِي

أَقَمْتُ لَهَا على طِرْسِي عَزاءً ... وقلتُ لِريشَتي: دَمْعًا أَريقِي

سأَلْتُ دَفاتِرَ التَّاريخِ عَنْها ... وأَرْبابَ الحَضارةِ والحُقُوقِ:

أَيَظْما في بِلادِ النُّورِ عَيْشٌ ... وتُلْقَى الأُمْنِياتُ على الطَّريقِ!؟

وتَبْكــــي عَـــيْنُ أَمْجـــادٍ طِـــوالٍ عَـــلى وَقْـــعِ القَنـــا والــــمَنْجَنيقِ!؟
فَطـــالَعَني الوُجـــومُ بصَـــمْتِ دَهْـــشٍ وأَلْجَمَنـــــي بـــــإِطْراقٍ عَمِيـــــقِ
ولَـــوْ نِلْـــتُ الفَصـــاحةَ كـــانَ قَوْلـــي: أَلا أَسَـــفِي عـــلى البَلَـــدِ العَريـــقِ!



عَقِيمٌ حَظُّنا

عندما يُوسَد الأمرُ لغير أهله يُسْتباح الحقّ، يتكلّم الرُّوَيْبِضة، ويكثر الخبث، ويبكي الصالحون قهرًا، فلا أملَ يلوح، ولا قلبَ ينتشي؛ تذوب الهممُ تحت وطأةِ الظلم، ويغدو العدلُ سرابًا، والموتُ والحياة سيّان.

عَقــيمٌ حَظُّنــا بَــيْنَ الــبِلادِ ... قَليـــلٌ شَــأْنُنا بَــيْنَ العِبــادِ

تُـــدَثِّرنا تَبــاريحُ الـــمَنايا ... وتَسْـــفِينا حُبَيْبــاتُ الرَّمــادِ

تَـــداعَيْنا لــــمَقْتَلَةٍ وبُــؤْسٍ ... عـلى مَـرْأى الـمُصالِـحِ والـمُعادي

نُنــادي أَهْـلَ إِسْــلامٍ وقُرْبـى ... فيَخْــذُلنا - بقَصْــدٍ - مَـنْ نُنــادي

لَقِينــا مِــنْ عُتــاةِ البَغْــيِ نــارًا ... كــما تَلْقــى الحُقــولِ مِــنَ الجَــرادِ

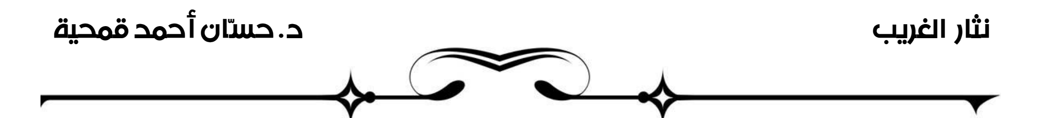
***

سَــبيلُ اليَــومِ إِجْــرامٌ وحِقْــدٌ ... ويَلْقَــى حَتْفَــهُ دَرْبُ الرَّشــادِ

تُحاصِرُنــا الكَــوارِثُ والبَلايــا ... ونُسْــقَى مِــنْ تَضــاريسِ القَتــادِ

لَيالينــا بِــلا فَجْــرٍ كأَنَّــا ... نَفِــرُّ مِــنَ الحِــدادِ إلــى الحِــدادِ

لَــئِنْ سَــلكَ الكَــريمُ سُــلوكَ حُــرٍّ ... أَتــاهُ الكَــرْبُ مِــنْ خــافٍ وبــادِ



مَتَى نُعانِقُ أرْضَنا!؟



يُطارح الحنينُ النفوسَ الـمتعبة من الاغتراب والبعد، يحلّق بها فـي عالـم الذكريات والشوق إلى زمان العفويّة والصفاء والبراءة، إلى رفاق الطفولة والصبا والشباب، فتنبعث الرؤى والأحلام، وتدور فـي فلك الروح جوقةٌ من الأفكار عن العدل والظلم، الحقّ والباطل، الـمنع والعطاء، ويطول التفكير ويسرح فـي دنيا الخيال.

بَـــيْنَ الحَنِـــينِ وبَـــيْنَ قَلْبِـــي مَوْثِـــقُ   نَبضَـــاتُهُ مِـــنْ دُونِـــهِ لا تُشْـــرِقُ
الشَّـــوْقُ بِـــي نَحْـــوَ الأَحِبَّـــةِ غـــامِرٌ   والشَّـوْقُ فـي عُـرْفِ الأَحِبَّـةِ مَنْطِـقُ
فـــالزَّهْرُ إِنْ يَهْجـــرْ غُصُـــونَ مِـــدادِهِ   فَمَآلُـــهُ - بَعْـــدَ الـــذُّبُولِ - تَمَـــزُّقُ

***

لا تَحْزَنـــي يـــا «حِمْـــصُ» إِنَّ شـــآمَنا   مَوْعُـــودَةٌ بـــالنُّورِ حُبًّـــا يُـــورِقُ
قَـــدْ طـــالَ عَـــنْ رَوْضِ الغَـــرامِ بِعادُنـــا   حتَّـــى جَفانـــا غَيْثُـــهُ الـــمُتدفِّقُ
فمَتَـــى نُعـــانِقُ أَرْضَـــهُ وسَـــماءَهُ   ونَـــرَى صَـــدَى أَحْلامِنـــا يَتَحقَّـــقُ؟

هَـــلاَّ سَــمِعْتُمْ جُرْحَــهُ يَحْــدُو بِكُــمْ   يـــا إِخْوتـــي فتَقَــدَّموا وتَحَقَّقـــوا
جُـــودُوا بوَصْـــلٍ للرَّفـــاءِ طَرِيقُـــهُ   وتَعاهَــــدُوه بشَـــــرْبَةٍ وتَرَفّقُـــوا
كَــمْ مُــدَّعٍ حِــينَ الرَّفــاهِ بِجُــودِهِ!   والجُــودُ فــي زَمَــنِ الشَّــدائدِ أَصْــدَقُ
مَــــنْ يَـــدَّعِي أنَّ النَّبالَـــةَ دَأْبُـــهُ   والـــــمَكْرماتِ طَرِيقُــــهُ الــــمتأَلِّقُ
لابُـــدَّ أن تُبْـــدِي الوَقــائِعُ أَمْـــرَهُ   ويَجِـــيءَ يَـــومٌ مُمْحِـــلٌ أو مُـــورِقُ
فـــي البَـــأْسِ يَجْلـــو أَمْــرُ كُــلِّ خَلِيقَــةٍ   بَــيْنَ الــوَرَى ... فمُكَــذَّبٌ ومُصَــدَّقُ

***

سَـيُزُولُ لَيْــلُ الظُّلْــمِ عَــنْ عَتَباتِنــا   ويَكُــونُ بَعْــدَ العَــتْمِ فَجْــرٌ مُشْــرِقُ
وســنَلْتَقِي يــا شَــوْقُ فــي سُــوريّةٍ   راياتُنـــا فـــي رَوْضِـــها تَتَـــأَلَّقُ
ويَكُــونُ حَفْــلُ النَّصْــرِ فــي أَجْوائِنــا   كعَمِــيمِ قَطْــرٍ بالرّجـــا يَتَمَنْطَـــقُ
لَــوْلا يَقِينِــي بالعَدالَــةِ فـــي السَّــما   لجَعَلْـــتُ نـــارِي كُـــلَّ شَيءٍ تَحْـــرِقُ



أمَلٌ يُعاوِدُنــي

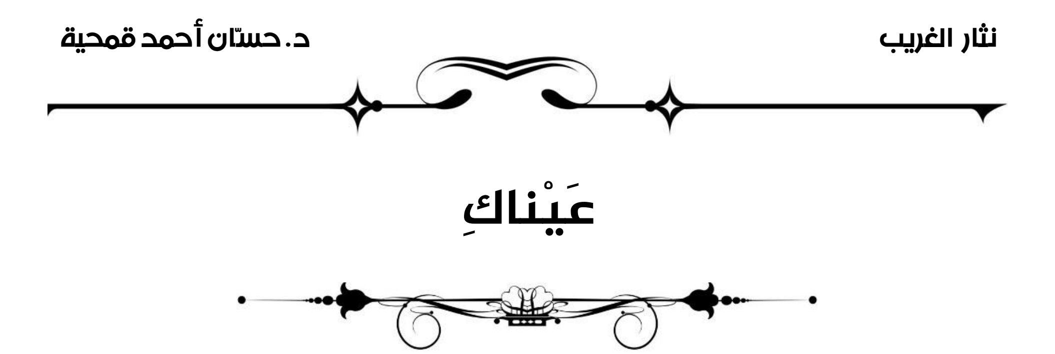
قاسيةٌ تجاربُ الفقد، ومؤلـمٌ جدًّا أن يمتنع اللقاء بالأحبّة إلى الأبد.

كَـــمْ كــــانَ يَحْدُونــــــي إلَى لُقْيَـــاكِ   أَمَــــلٌ تَـــرَدَّدَ فــــي مَـــدَى الإِدْراكِ

أَمَــــلٌ يُعَاوِدُنـــــي أُحِـــبُّ عِناقَـــهُ   وأُحِــــبُّ أَنْ تَأْتــــي بِـــهِ عَيْنَــــاكِ

لكنَّــــهُ أَمْــــرٌ تَنـــــادَى يَوْمُـــــهُ   فأَتَـــــتْ إِلَيْــــهِ تَسْــــتجَيبُ خُطــــاكِ

باتَــــتْ عـــلى كَـــفِّ الـــرَّدَى أَصْـــدَاؤهُ   أَيُــــلامُ قَلْـــبٌ فــــي الهَـــوَى نَــاداكِ؟



عَيْناكِ

كانت تتحسَّس أخبارَه، تتوقُ إلى كلمةٍ أو همسةٍ منه، تغبطُ من يشاركونه تفاصيلَه، تصرخُ بصمتٍ علّه يسمع صدى قلبها، ويُفْرِج عن قلبه القاسي وتقول ... لِـمَ هذا البعد والجفاء ... ثمّ ترضى بأن تسمعَ أخباره، فربّما هو قاسي الـملامح، جادّ الخطى، لكنّه عذبُ الحديث، ليّن القلب، رقيق الطويّة، يشعّ حبًّا وعطاء ونورًا، يُبهِر القلبَ ويُحْيي أملَ اللقاء ... ولو بعدَ حين.

عَيْنـــــاكِ سَـــــبيلُ الإِبْحـــــارِ فـــي عالَـــمِ «قَـــيْسٍ ونِـــزارِ»
ومِــــــدادي إنْ عَــــزّ مِــــدادي وطَريقِــــــي نَحْـــــوَ الأَوْتـــــارِ
عَيْنـــــاكِ أُفُـــــقٌ مُـــــترامٍ كـــــــاليَمِّ حَفـــــــيٍّ الأسرارِ
والـــــــيَمُّ عَميـــــــقٌ، لا أَدْري هَـــلْ تَنْجُـــو سُـــفُنُ البَحَّـــارِ؟
والشَّــــــاطِئُ مُبْتَعِـــــدٌ جِـــــدًّا يـــا وَيْحِـــي ضَـــيَّعْتُ مَســـارِي

***

فتَعـــــالَيْ قَـــدْ جِئْـــتُ مُريـــدًا وبِكفِّـــــي بَعْـــــضُ الأَخْبـــــارِ

تَكْفِينـــــــي نَظْـــــرةُ إعجـــــابٍ كَـــــيْ أُبْـــــدِعَ شَـــــهْدَ الأَشْـــــعارِ
وأُرتِّـــــبَ دُرًّا مِـــــنْ نَظْـــــمٍ كقَلائـــــدِ وَرْدٍ مِعْطـــــارِ

***

تِيهـــــي بالعِشْـــــقِ وأَدْنِينـــــي يـــــا حلْيَـــــةَ لَـــــيْلي ونَهـــــاري
وبغُـــــنْجِ فَتـــــاةٍ عـــــاطِرةٍ تَخْتـــــالُ بوَسْـــــطِ الأَزْهـــــارِ
أَقْسَـــــمْتُ بأَنِّـــــي لَـــــنْ أَرْضَى أَن يُظْلِـــــمَ بـــــالهَجْرِ قَـــــرارِي



رَأيتك

عينٌ عاشقة لا ترى فيمن تحبّ إلا الجمال والنور.

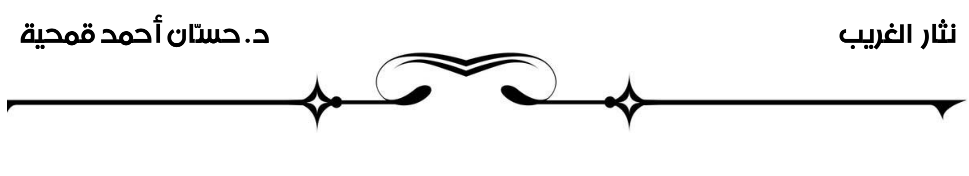
رَأَيْتُكَ في مَنَامِي والنَّهارِ   مع الأَطْيَارِ تَشْدُو والقُمَارِي
رَأَيْتُكَ في نَسِيمِ الصُّبْحِ يَهْفُو   تُعَطِّرُهُ الأَزَاهِرُ في البَرَاري
رَأَيْتُكَ في عَبِيرِ الوَرْدِ مِسْكًا   يَفُوحُ شَذَاهُ في عَبَقِ الجِوَارِ
رَأَيْتُكَ في اللَّيَالي ضَوْءَ نَجْمٍ   تُعانِقُهُ الكَواكِبُ كالسِّوَارِ
رَأَيْتُكَ في الشُّهُورِ تَمَامَ بَدْرٍ   فَلا يَرْضَى بنَقْصٍ واخْتِصَارِ
رَأَيْتُكَ عاشِقًا والعِشْقُ جَمْرٌ   وأَهْلُ العِشْقِ في حَرٍّ ونَارِ
رَأَيْتُكَ لا تُغادِرُني حَلِيمًا   وخَمْرُ العِشْقِ يَذْهَبُ بالوَقَارِ



لَفْحٌ مِنْ لَظَاهَا

بارعة الحُسْن، فاتنة الخطى، بهيّة الحضور، تلك التي بدت لناظريّ.

رَأَيْتُ الحُسْنَ يَنْهَلُ مِنْ صِباهَا ... كأَنَّ العَيْنَ لم تَعْرفْ سِوَاهَا
لَهَا في القَلْبِ أَنَّاتٌ وعِشْقٌ ... ونَارُ الوَجْدِ لَفْحٌ من لَظَاهَا
وكَمْ كانَتْ لأَحْلامي رَبيعًا! ... وكَمْ نامَتْ عَلَى عَيْنِي رُؤَاهَا!
أُحِبُّ حَدِيثَها في كلِّ حِينٍ ... ولَسْتُ بمنْصِتٍ فيمَنْ عَدَاها
أَمِنْ زَهْرٍ لها أَلْوانُ خَدٍّ ... ومِنْ عِطْرٍ يُضَوِّعهُ شَذَاهَا!؟
إذا خَطَرَتْ على دَلٍّ وجاءَتْ ... تَرقَّبْتُ الأناقَةَ في خُطَاهَا
فسُبْحانَ الذي مِسْكًا رَوَاهَا ... وسُبْحانَ الذي حُسْنًا حَبَاهَا



ملاكٌ في السَّماء



لا دستور لخفقة قلب يحنّ إلى ماضٍ تجلّى، عابق بالجمال، غارق فـي الخيال، يرتّل آياتِ عشق.

حَنــــا ذاكَ الزَّمـــــانُ عَــــلَى فُـــؤَادِي وَأَشْـــبَعَني مِـــنَ الحِـــبِّ الجَميــــلِ
مَــلاكٌ فـــي السَّــما رَسَــمَتْ خَيَالـــي وَجــاءَتْني لِتَسْــأَلَ، قُلْــتُ: قُولِـــي
فَقالَـــتْ: إنَّ بِـــي شَـــوْقًا تَعالَـــى فـــأَطْفِئ نـــارَ شَـــوْقي يـــا خَلـــيلي
وَهـــدِّئْ بِالوِصَـــالِ خُفُـــوقَ قَلْبِـــي فَهَـــذا الخَفْـــقُ يُنْـــذِرُ بالرَّحيــــلِ
وَلا تُشْـــغِلْ بِـــدارَكَ بِافْتِكـــارٍ فَلَـــيْسَ العِشْـــقُ يُحْسَـــبُ بِـــالعُقُولِ

***

أُحَبِّـــكَ مَثْـــلَ غَيْـــثٍ تَرْتَجيـــهِ قِفَـــارٌ أُتْرِعَـــتْ بِلَظَـــى الـــذُّبولِ
أُحَبِّـــكَ مِثْـــلَ طِفْـــلٍ يَشْـــتاقُ أُمَّـــا طَواهـــا طـــارِقُ الأَمْـــرِ الثَّقيـــلِ
أُحَبِّـــكَ مِثْـــلَ عَـــيْنٍ لم تكافَـــا مِـــنَ الأَيَّـــامِ بِـــالنَّوْمِ الجَزيـــلِ
أُحَبِّـــكَ مِثْـــلَ لَيْـــلٍ طـــالَ عُمْـــرًا ولم يَهْنَـــأْ مِـــنَ الفَجْـــرِ العَليـــلِ
أُحَبِّـــكَ مِـــلءَ أَحْلامـــي، ولكِـــنْ ســـأَرْضى مِـــنْ وِصـــالكَ بالقَليـــلِ



لِـي في الغرام

اكتفى ذلك القلب الـمحبّ بمن مال إليه، فلا مكانَ فيه لعابر مضى، أو قادم مُلِحّ.

لَـــمَّا مَنَحْتُــكِ مِـــنْ هُيـامي مــا بِيَــا أَغْلَقْـــتُ أَبْـــوَابَ الغَـــرامِ وَارِئِيَـــا

وَكَفَيْــتُ قَلْبِــي مِـــنْ عُيُــونِ حَبيبَتِــي وســـقَيْتُ مِنْهـــا مـــا أَرادَ فُؤَادِيَـــا

لِـــي فـــي الغَـــرامِ طَبــائِعٌ مَكْنُونَـــةٌ لا تَسْأَلُونِـــي، لَـــنْ أُصرِّحَ مـــا هِـــيَ

لكِنَّنـــي أَبْـــدُو بـــهِ مُتَناهِيًـــا والشِّـــعْرُ يَرْسُـــمُ لَـــهْفَتي وغَرامِيَـــا

وأَحـــارُ فـــي وَصْـــلِ الحَبيــبِ وقُرْبِــهِ فأَبيـــتُ عَـــنْ دِفْءِ الـــمَنامَةِ قاصِـــيَا

ويُخـــالِطُ السُّـــهْدُ الطَّويـــلُ هَناءَتـــي فيَنـــامُ صُـــبْحِي مِـــنْ سُـــهادِ لياليَـــا

وتَعِـفُّ عَـــنْ وَصْـــلِ الصَّـــفاءِ قَرِيحَتـي فأَبِيــتُ صَــبًّا، فـــي الـــمَراضَةِ ثاوِيـــا

***

قـالُوا: مَلاكـي «فــي الفِـراشِ مَريضَــةٌ» يـــا وَيْـــحَ قَلْبـــي، ضـــاقَتِ الـــدُّنْيا بِـــيَا

هِـــيَ نَجْمَتـــي إِنْ حَـــلَّ لَيْـــلٌ داهِـــمٌ وَأَنيسَـــتِي فـــي وَحْدَتـــي ولَيَالِيـــا

هِـــيَ بـــارِقُ الحُلْـــمِ الـــذي لا يَنْتَهـــي ورَبيـــعُ عُمْـــرٍ كُنْـــتُ فيـــهِ خالِيَـــا!

هِـــيَ نَفْحَـــةُ الصُّـــبْحِ العَليـــلِ نَســـيمُهُ والصُّـــبْحُ أَجْـــمَلُ إِنْ أَتَـــى مِنْهـــا لِيَـــا

وإذا مَرِضْــتُ رَجَــوْتُ بَعْــضَ رِضــابِها		فِيـــهِ الشِّـــفاءُ لِعِلَّتِـــي ولِـــدائِيَا

لا تُبْعِـــدُوها عَـــنْ لَيَالـــي غُرْبَتـــي		سَأَصِـــيرُ مِـــنْ عَـــيْشِ السَّـــعادَةِ عارِيَـــا



رَواءُ اللِّقاء

ويلفّ هذا القلبَ شوقٌ لحبيبٍ غائب، يُدثّره بالرّفق، ويمنع عنه كلّ معنى إلّا صدى الوداد وهمساته، ويحتضنه ليَغِيبَا معًا في دُنْيا الخيال ويضيئا عتمةَ الليالي، ويُزيّنا الدنيا بما فيها، ثمّ يُلْغيان أيّ لـمحٍ للفراق؛ فالحياةُ بلا حبيب جسدٌ بِلا روح.

كُنْ دِفْءَ عُمْري حينَ يَغْزوني الشِّتاءُ وصَباحَ عَتْمِي حينَ يَمْتدُّ المَساءُ

كُنْ نَسْمَةً تُحْيي رُكودَ خَواطِري ورَبيعَ زَهْرٍ لا يُغادِرُهُ البَقاءُ

كُنْ شرْبَةً تَرْوي العِطاشَ إذا الظَّما عَمَّ المدى، ونَبا بِساحَتِهِ الرِّواءُ

***

يَجْتاحُني قَلَقُ الفِراقِ بِطُولِهِ فمَتى يُجَلِّي ضِيقَ ظُلْمَتِهِ البَقاءُ؟

أَيَنوبُ عَنْ لُقْيَا الحَبيبِ رَسائِلٌ أو مَوْعِدٌ قد ظَلَّ يَرْقُبُهُ الرَّجاءُ؟

أَحْتاجُ رِقَّتَهُ رَفيقَ مَشاعِري والعاشِقُ الوَلْهانُ يَرْويهِ اللِّقاءُ

لا صَفْحَ عِنْدِي عَنْ تَعَنُّتِ قُرْبِهِ كَثُرَتْ مَعاذِرُهُ، فأَيْنَ الأَوْفِياءُ؟

كَمْ كانَ وَعْدُ الوَصْلِ يُطْرِبُ مَسْمَعي! واليَوْمَ يُثْقِلُ وَقْعَ أَحْزاني الجَفاءُ



بنْتُ الوَليد

أيّتها الطيّبة الغالية، هل هذا ثمنُ البراءة والطُّهْر، أم أنّ ليلَ الحاقدين لا ينجلي؟ هل جاسُوا خلال الدِّيار، ولم يشتفِ لؤمُهم إلّا في خرابك وتمزيق عفّتك؟ مهما جرى ستبقَيْن الحبّ الأوّل، ملهمةَ الشعراء، رمزَ الكِبْرياء؛ فعطرَك باقٍ على كفّ الزمان، ينثر وردًا لكلّ من يصافحه.

هَـلْ كُنْـتَ تَعْرِفُنِـي يـا شـاكِيًا جَزِعـا ... يـا حـامِلًا حَزَنًـا، يـا سـاكِنًا وَجَعَـا!؟

أَنـا الـمُقِيمَةُ فـي أَرْضٍ مُـمَـزَّقةٍ ... أَدْنُو مِنَ الـمَوْتِ، يـا لِلْـمَوْتِ ما صَنَعا!

قَـدْ كُنْـتُ مَرْجًـا تِـلالُ الحُسْـنِ تَغْبِطُنـي ... والفَجْـرُ يَرْمُقنِـي خَجْـلانَ مُصْـطَنِعَا

أُسَـابِقُ الشَّـمْسَ إِشْراقًـا وتَجْلِيَـةً ... حَتَّـى غَـدَوْتُ لِنُـورِ الكَـوْنِ مُنْتَجَعَـا

***

فـي رُكْـنِ شاهِدَتـي أَعْلَنْـتُ مُنْتَسَـبي ... بِنْـتُ الوَلِيـدِ أُبـاهِي الكَـوْنَ مُجْتَمِعـا

مـا كـانَ للخَـوْفِ يَوْمًـا أَنْ يُخالِجَنـي ... لَـوْلا جَمـالٌ تَجَـلَّى فِـيَّ واتَّسَـعا

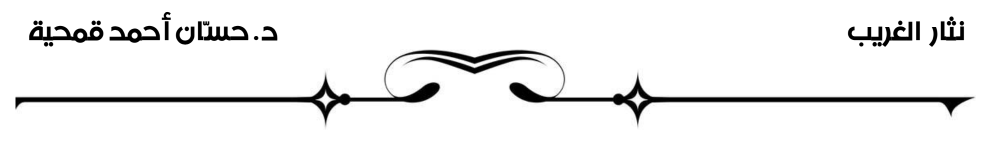
***

يَمْتَـدُّ فـي طَرَفِـي نَهْـرٌ يُغـازِلُني ... لكنَّـهُ أَبَـدًا لَـمْ يَبْـدُ مُقْتَنِعـا

يُـــراوِدُ القُـــرْبَ عَـــنْ قَصْـــدٍ وســـابِقَةٍ أَلْقَـــى الحَيـــاءَ، فبَـــاتَ اليَـــوْمَ مُنْـــدَفِعا
تُغْريـــه فاتِنَـــةٌ فـــي حِمْـــصَ مَنْزِلـــُها مَـــنْ زارَ طَلْعَتَهـــا عَـــنْ غَيْرِهـــا رَجَعـــا

***

واليَـــوْمَ يَسْـــكُنِني رُعْـــبٌ ومَقْتَلـــةٌ وَسْـطَ الـدَّمارِ أَعِـيشُ الخَـوْفَ والهَلَعـا
هَـــلْ عَقَّنـــي زَمَنِـــي أَمْ كُنْـــتُ غافِلَـــةً عَـنْ كَيْـدِ لَيْـلٍ أَبـانَ القَصْـدَ وانْقَشَـعا؟



القِبْلةُ الأولَى



رغم الخذلان والتخلّي، ستبقى القدسُ في القلوب، ويرحل عنها قتلةُ الأنبياء ومُسُوخ القِردة والخنازير. وهي اليومَ ميزانُ الفرقان بين دعاةِ الحقّ وعَبَدة الباطل. وسيبقى الأحرارُ فيها ومن حولها في ثبات ورباط إلى يوم القيامة.

أَمْسَكْتُ دَمْعِي، فهَلْ أَمْسَكْتُ مَخْذُولا؟ ... واخْتَرْتُ صَمْتِي، فهَلْ أَحْسَنتُ تَأْوِيلا؟

مَا زِلْتُ أَنْظُمُ أَشْعَارًا أُرَدِّدُها ... أُضْفِي على خَيْبَتِي والعَجْزِ إِكْلِيلا

اللهُ يَشْهَدُ أَنَّ القُدْسَ باصِرَتِي ... نُورٌ يُداعِبُنِي حقًّا وتَخْيِيلا

كَمْ يَنْثُرُ المَرْءُ قُبْلاتٍ ويَبْذُلُها! ... لكنَّ لِي قُبْلَةً للقِبْلَةِ الأُولَى

***

وأَنْتُمُ حَفْنَةٌ فِي الأَرْضِ باغِيَةٌ ... لَنْ يَهْنَأَ العَيْشُ، فقد جِئْنَا أَبابِيلا

ما كانَ يَنْهَضُ للأَنْذالِ صَوْتُهُمُ ... لَوْ أنَّ فِي أَرْضِنا عَدْلًا ومَسْؤُولا

***

نُناوِئُ اللَّيْلَ إِنْ أَرْخَى بعَتْمَتِهِ ... ونُرْقِئُ العَزْمَ إِنْ باتَ مَشْلُولا

إِنَّ الغُبارَ الذي أَرْدَى برُؤْيَتِنا ... لابُدَّ أن يَنْجلِي عَنْ أَرْضِنا الطُّولَى



بَوْحُ العَبِير خَبَا

شِرْذَمَةٌ قَليلُون يَحْكمُون البشر، يمزّقون صحائفَ الحقّ ويدوسون أحلامَ الشعوب بأقدام الحقد والهوى، لا يَرْعُون فيهم إلًّا ولا ذِمّة؛ فيغدو الربيعُ مستحيلًا تحت وطأة بطشهم. ولكنّ الأحرارَ عرفَ الحقُّ طريقَه إلى قلوبهم على وقع منهجٍ ربّانـي يكلِّل القلوبَ بالرحمة والحَياة بالعُمْران، فيقيم دولةَ الإيمان واليقين فـي النفوس التي ما برحت تنادي وكلّها أملٌ وثقة: أليسَ الصبحُ بقريب!؟

بَـوْحُ العَبِـيرِ عـلى الغُصُـونِ لقَـدْ خَبَـا ... أَتُـراهُ يَخْتـارُ الرَّحِيـلَ مـعَ الصَّـبَا؟!

أَتُـراهُ مِـنْ فَـيْحِ الحُـرُوبِ مُسَـافِرٌ؟! ... فـالزَّهْرُ فـي رَوْضِ الخَمِيلَـةِ مُسْـتبَى

والــمَرْجُ آلَ قَطِيفَـةً مِـنْ شِـلْوَةٍ ... تِلْـكَ الفَسِـيلَةُ لم تَكُـنْ يَوْمًـا هَبَـا

الـرُّوحُ تَبْكِـي مِـلْءَ عَـيْنِ تَبيعِهـا ... لم تَلْـقَ فـي غَـيْرِ الـمَدامِعِ مَهْرَبـا

***

بَـيْنَ الضُّـلُوعِ أَقَـامَ وَجْـدٌ هـائِجٌ ... حَـرَقَ القُلُـوبَ ونَبْضَـها والـمَنْكِبَا

واَمْتَــدَّ فـــي نُسُــغِ النَّسِــيجِ مُغــامِرًا واخْتَــارَ مِــنْ حُــزْنِ الــمَلامحِ مَــذْهَبا
تَقْضِــي «البُطولَـةُ أَنْ نَموتَ مِنَ الظَّما» «لَـــيْسَ البُطولَـــةُ أن نَعُـــبَّ» ونَشْـــرَبا

***

يَلْقَــى الشَّــجِيُّ مِــنَ الخَــلِيِّ مَــرارَةً لا تَنْطَفِــــي حَتَّـــى يَنُـــوءَ ويَـــذْهَبا
بُركانُنــــا مَحْمُومَــــــةٌ أَحْجَـــــارُهُ تَرْنُـــو إلى الوَعْــدِ الــذي قَــدْ غُيِّبــا
يـــا كَوْكبًـــا مَـــلأَ الظَّـــلامُ رَبيعَـــهُ هَــلْ لــي بــأَنْ أَخْتَـارَ غَـيْرَكَ كَوْكَبـا؟

***

حـــارَتْ مَوَاسِـــمُ خَيْبَتِـــي فـــي عالَـــمٍ قَتَـــلَ الطُّفُولَـــةَ والــــبَراءَةَ والصِّـــبا
خَنَـــقَ السَّـــلامَ عَـــلى حِبَـــالِ شُرُورِهِ فتَنَكَّـــبَ الحُلْـــمُ الجَمِيـــلُ وغَرَّبـــا
داسَـــتْ عـــلى سُـــبُلِ النَّقـــاءِ جُيُوشُـــهُ واسْــتَكْلَبَ الحِقْــدُ الــدَّفينُ عــلى الرُّبَـا
سَــيْلُ البَلايــا فــي الحِمَــى بَلَــغَ الزُّبَــا هَـــلْ بَعْـــدَهُ فَـــرَجٌ وإنْ بَلَـــغَ الزُّبَـــا؟
وتَـوَاطَـــأَ القَهْـــرُ الـــذي جـــاءَتْ بِـــه والعَـــــدْلُ بـــــاتَ مُجَرَّمًـــا ومُغَيَّبـــا

***

مَـــنْ لــــي بعُمْــــرٍ لا يُسَـــامُ صَـــفَاؤُهُ أَجْنِــــي بِـــــهِ بُـــــرْءَ الطَّهَـــارَةِ أَعْزَبـــا
وأُوَشِّـــــحُ الأَيَّـــــامَ مِـــــنْ ثَمَرَاتِـــــهِ فيَفِـــيضُ مِنْهـــا مـــا تَـــدَثَّرَ واخْتَبـــا

***

للهِ وَعْـــــدٌ لَـــــنْ يَمُـــــوتَ قُدُومُـــــهُ يُحْيِـــي الكَسِـــيرَ إذا تَقَـــدَّمَ واجْتَبـــا
فـــي رَحْلِـــهِ أنَّ الصَّـــباحَ مُنَقَّـــبٌ والشَّـــمْسُ تَجْلُـــو وَجْهَـــهُ الـــمُتَنَقِّبا
مِثْـــلَ البَيَـــاضِ وَراءَ سِـــتْرٍ أَسْـــوَدٍ حِـــينَ الشُّـــرُوقِ يَصِـــيرُ أَبْهـــى أَصْـــهَبا
لا اللَّيْـــلُ يَمْنَـــعُ أن يَعُـــودَ ضِـــيَاؤُنا مـــا دامَ عَـــزْمُ الفَجْـــرِ أَقْـــوَى مَـــذْهبا



نَبْتُ الدِّماء

كيف هُنّا عليك يا وطن، فها هُمُ أبناؤك ما بين شتاتٍ وقبور، أيّامهم رهنُ المِحَن والخوف والجوع والعراء، وعدوّهم غاشم لا يرحم. أَهُنّا عليك أم هُنتَ يا وطن!؟

كَيْــــفَ انْطَــــوَى هــــذا الــــوَطَنْ … وغَــــدَا خِيَامًــــا مِــــنْ وَهَــــنْ!؟

فــــي الصَّــــيْفِ يَأْكُلُهــــا اللَّظَــــى … ويُــــذيقُها حُمَّــــى البَــــدَنْ

تَقْتَــــاتُ مِــــنْ بَــــرْدِ الشِّــــتَا … وتَبِيــــتُ يُرْخِصُــــها الــــثَّمَنْ

غــــابَ الرَّبِيــــعُ بفَصْــــلِها … واســــتوطَنَتْ نــــارُ الـمِحَــــنْ

أَمْطَارُهــــا قَصْــــفُ العِــــدَا … وغُيُومُهُــــا دَمْــــعُ الشَّــــجَنْ

وزُهُورُهــــا نَبْــــتُ الــــدِّمَا … ورِيَاضُــــهُا وَجْــــهُ الكَفَــــنْ

للمَــــوْتِ يَمْضِــــي يَوْمُهــــا … والــــموتُ أَكْــــرمُ مُــــؤْتَمَنْ



تركْتُ حُشاشَتِي



عندما يتهالك الجسدُ على قارعة الحنين، تعيش الروحُ دائبةً، تتفقّد شتاتَها الذي نزفته في مواضع حبّ، تأمل لقاءً يداوي الجراح ويعيد للحياة لهفتَها، وكلّها ثقة ورضا بقضاء الله وقدره.

لَـمْ يُنْسِـنِي بُعْـدُ الـمَسافَـةِ مَسْكَنِـي فأَنَـا تَرَكْـتُ حُشاشَـتِي فـي مَوْطِـني

وجَلَسْـتُ أَنْظُـرُ لِلـدِّيارِ مُودِّعًـا نَظَـرَ الفَقِـيرِ إلى الغَنـيِّ الـمُحْسِنِ

مَـا بـي – إذا فَحَصَ الطَّبِيـبُ – مَوَاجِـعٌ فعَـلامَ أَبْـدُو كالـمَرِيضِ الـمُزْمِنِ؟

***

يَنْتـابُنِي أَرَقٌ عَجِيـبٌ أَمْـرُهُ يَأْتِـي عَـليَّ بقـوَّةٍ وتَمَكُّـنِ

مـاذا أَقُـولُ بوَصْـفِهِ؟ قُولُـوا لَـهُ: يَكْفِـي أَنِينـي في الفُـؤادِ وأَعْيُنِـي

قَـدْ أَرْهـقَ الـمُشتاقَ حُلْـمٌ غائِـبٌ تَـركَ الكَلـيمَ بلَيْـلِ شَـوْقٍ أَرْعَـنِ

***

الـنَّفْسُ تَرْنُـو للقـاءِ وقَـدْ غَـدتْ مَلْهُوفـةً مِـنْ بَعْـدِ هَجْـرٍ مُمْعِـنِ

يَتَـوارَدُ الوَسْـواسُ في وَسْـط الجَـوَى ويُطـيحُ بـي لَـوْلا يَقِـينُ الـمُؤْمِنِ

إِنْ قِيـلَ: مـا تَرْجُـو بَعِيـدٌ قُرْبُـهُ فـاللهَ أَرْجـو أَنْ يُـديمَ تَيقُّنِـي



كَثُرَ الأنِين

يا لكثرة هذا الأنين، ولِفداحة هذا الوجع؛ غشاوةٌ سوداء أَخْنَت على عيشٍ مرير، وبات الحقّ مدفوعًا بالأبواب، فلا صوتَ إلّا لدَعيّ، ولا حديثَ إلّا لغاشِم.

أَمَــوْتٌ حَــانَ أَمْ قَــرُبَ العَــذابُ؟　　　وقَــدْ كَثُــرَ الأَنِــينُ، فــلا جَــوَابُ

دِمــاءُ القَتْــلِ عَقَّــتْ كُــلَّ سِــلْمٍ　　　فــدَفْقُ النَّــارِ يَتْلُــوهُ اليَبــابُ

وصَــوْتُ العَــدْلِ مَخْنُــوقٌ بقَيْــدٍ　　　وصَــوْتُ الظُّلْــمِ مَسْــمُوعٌ مُجَــابُ

إذا مــا قَــامَ لِلأَحْــرارِ صَــوْتٌ　　　فبَــابُ السَّــجْنِ للأَحْــرارِ بَــابُ

نِفَــاقُ النَّــاسِ قَــدْ أَمْسَــى جَهَــارًا　　　وعَــمَّ الزَّيْــفُ، واجْتُنِــبَ الصَّــوابُ

***

لَقَــدْ دَارَ الزَّمــانِ عــلى بِــلادِي　　　وأَوْجَعَهــا قِتَــالٌ واحْــتِرابُ

وذاقَــتْ مِــنْ لَهِيــبِ النَّــارِ كَأْسًــا　　　وجُــذَّتْ في الــمَيادِينِ الرِّقــابُ

***

لأَحْــلامٍ نَعِــيشُ فــلا نَرَاهُــا　　　ويَكْفِينــا مــن الحُلُــمِ السَّــرابُ

إذا لم يَحْــظَ مَظْلُــومٌ بعَــدْلٍ　　　فَخَــيْرٌ مِــنْ مَعِيْشَــتِهِ الــتُّرابُ



يعيش غَريبًا

ومن العجائب أن تَصْفو الدنيا للعبيد، أبناء الذلّ، ولا تصفو للأحرار.

يَعيشُ الحُرُّ في الدُّنْيَا غَريبًا ... ويُغْلَقُ دونَه وُسْعُ الرِّحابِ

وتَعْزِلُهُ المَخاوِفُ والنَّوايا ... وعَبْدُ الذُّلِّ يَطْرُقُ كُلَّ بابِ

وبينَ النَّاسِ تَلْقاهُ يُعاني ... جُنُوحَ الخَلْقِ عَنْ نُور الصَّوابِ

يَرومُ العَيْشَ أَنْ يَغْدو كَريمًا ... فيَلْقى الصَّدَّ في الأَرْضِ اليَبابِ

كأنَّ الظُّلْمَ مَهْوًى للرَّعايا ... يَميلُ إلَيْهِ أَشْباهُ الدَّوابِ

يُكيلونُ المَديحَ لكُلِّ جَوْرٍ ... ويَخْشَوْنَ النَّزاهَةَ في الخِطابِ

تَراهُمْ للطُّغاةِ رِهانَ طَوْعٍ ... وللأَحْرارِ أَنْيابَ الذِّئابِ

***

عَرَكْتُ مَعادِنَ الأَفْرادِ عُمْرًا ... وأَلْفَيْتُ العَجائِبَ في الثِّيابِ

يَبيعونَ الضَّميرَ بطَرْفِ عَيْنٍ ... وَيُلْقُونَ العُهُودَ إلى السَّرابِ

ففي الإِمْساءِ أَتْباعُ المَعالي ... وفي الإِصْباحِ أَتْباعُ الكِلابِ



مَأسَاةُ وَطَن



هي أمّةٌ تمرض ولا تموت، تَسْتقي عيشَها وقِيمَها من الـمعالـي، وتزرع كلّ ذلك فـي أبنائها، فلا يغفلون عن أوجاع أوطانهم، بل يجعلون من جِراحها سبيلًا إلى النور.

سَـــأَبْكي - إِنْ بَكيــتُ - عــلى بِـــلادي ... عـــلى وَطَـــنٍ تَوَشَّـــحَ بالسَّــــوادِ
عـــلى الأَحْـــلامِ ذابَـــتْ مِثْـــلَ مِلْـــحٍ ... وضـــاعَتْ تحـــتَ أَكْـــوامِ الرَّمـــادِ
عـــلى الأَشْـــيَاخِ فـــي نِـــيرانِ حَـــرْبٍ ... عـــلى أمٍّ .. عـــلى طِفْـــلٍ يُنـــادِي
عـــلى أَرْضِ الشَّـــآمِ وقـــد أُذيقَـــتْ ... مِـــنَ الخِـــذْلانِ مـــا أَدْمَـــى فُـــؤادِي

***

سَـــأَبْكِي حَـــرَّ أَنَّـــاتِ الأَيَـــامى ... وآهـــاتِ الأَرامِـــلِ فـــي السُّـــهادِ
سَـــأَبْكِي ظُلْـــمَ إِخْـــوانٍ تَخَلَّـــوْا ... وغـــابوا خَلْـــفَ أَحْـــلامِ الرُّقـــادِ



ما بالُ عَيْني؟

أيبكيك الفجرُ الذي عزّ أن يبزغَ فيه! أم يبكيك النورُ الذي لم يرَ أجملَ منك! أم يبكيك الإبداع الذي لم يجد خيرًا منك ليتعالى ويسكن نفوس أبنائك ... كثيرةٌ هي الأشياء التي تبكيك يا وطنًا ليس له مثيل، يا وطنًا كلّما ذكرتُه تجلّى أمامَ ناظريّ عبقُ الجمال.

مـا بـالُ عَيْنـي في المواقِف تَـدْمَعُ ... ويَسِـحُّ وابِـلُ نَزْفِهـا لا يُـرْدَعُ؟

تَبْكـي عـلى وطـنٍ تَضـاعَفَ جُرْحُـهُ ... حتَّـى غَـدَتْ أَحْزانُـهُ تَتَفـرَّعُ

ودِمـاؤُه فـوقَ البِطـاحِ تَنـاثَرتْ ... مـا للبِطـاحِ بأرضـهِ لا تَشْـبعُ؟

وسـماؤُه بالحقـدِ أُتـرِعَ لَوْنُهـا ... والشـمسُ في عَلْيائِـهِ لا تَسْـطَعُ

أحرارُنـا تحـتَ الثَّـرَى أَجْسادُهُمْ ... ذاك الثَّـرَى مِـنْ مِسْـكِهِمْ يَتَضـوَّعُ

***

في كُـلِّ ركـنٍ للمَعـاوِلِ مَـوْطِئٌ ... في كُـلِّ قَلْـبٍ للمَكـارِهِ مَـوْضِعُ

والحـرُّ في أَرْضِ الكرامَـةِ تائِـهٌ ... مـا عـادَ في أَرْضِ الكرامَـةِ مَرتَـعُ

تلـك السُّـنونُ ثَقِيلَـةٌ لا تَنْتَهِـي ... وعـلى صُـدورِ الأمَّهـاتِ تَـوَزَّعُ



الشَّامُ أنْوَارُ النُّجُوم



شآمُ الياسمين قلبُ المحبّين، وهيامُ العاشقين، وصفاء الصادقين، منبعُ الطهر، منزلُ القُرْب والإنابة، من شمّ عطرَها لا ينقطعُ عنها؛ لن تصلح الدنيا – قال أهلُ اليقين – إلّا بعودتها منارَ القاصدين ودربَ الفاتحين.

يـا قِصَّـةَ النَّصْـرِ الـذي لم يَرْتَحِـلْ ... يـا رَوْعَـةَ الفَجْـرِ الـذي في الاِنْتِظـارْ

الشَّـامُ أَنْـوارُ النُّجُـومِ بلَيْلِهـا ... الشَّـامُ أمٌّ للصِّـغارِ وللكِبـارْ

في الشَّـامِ حَـطَّ الياسَـمينُ رِحالَـهُ ... والـمَجْدُ حَـوْلَ رُبُوعِهـا شَـدَّ الإِزَارْ

أُغْـرودَةُ الـدُّنيا تَعـالَى هَمْسُـها ... ورَبِيعُهـا قَطْـرُ النَّـدَى والجُلَّنـارْ

***

كَـمْ رَأسَ بـاغٍ في الشَّـآمِ حُطامُـهُ! ... والسَّـيْفُ يَشْـحذُ حـدَّهُ للاِنْتِصـارْ

أَرْضُ الأَماجِـدِ في الـبرُوجِ مَبِيـتُهمْ ... وعـلى الجِبـاهِ مَنـارُ عِـزٍّ وازدِهـارْ

بَسَـطَ الجَـمالُ وِسـادةً في أَرْضِـها ... مـن رَوْنَـقِ الجَنَّـاتِ أَلْقَـى بالخَضَـارْ

مِـنْ كـلِّ صَـوْبٍ جاءَهـا نُـورُ الهُـدَى ... حتَّـى ارْتَـدَتْ سـاحاتُها ضَـوْءَ الفَخـارْ



لا تَبْتَئِسْ

تذوب الأنانيّة عندما يتأصّل في النفس معنى العطاء، فتجود بالغالي والنفيس، وتَسْتعر فيها السعادة، فتشرق بالرضا، وتتحقّق بمعالي الأمور حتّى تبلغَ أعلى مقام، حيث لا يثنيها صارف، ولا يكدّرها عارض، عن مسالك الجود والسّخاء.

اِزْرَعْ خُطَى الأَحْلامِ في لَيْلِ الطُّرُقْ ... لا شَيْءَ أَبْهَى مِنْ تَرَانِيمِ الغَسَقْ

الوَقْتُ يَمْضِي مُسْرِعًا وجَمِيعُنا ... في رِحْلَةٍ للمَوْتِ يَصْحَبُها القَلَقْ

في رَأْبِ حُزْنِ المُعْدِمينَ مَسَرَّةٌ ... مَنْ رامَها بابَ السَّعادَةِ قَدْ طَرَقْ

مَنْ عاشَ في كَنَفِ العطاءِ مُغَرِّدًا ... أَغْرَى الكَلامَ بكلِّ أَنْوَاعِ الوَرَقْ

وصَنائِعُ المَعْرُوفِ يُمْطِرُ غَيْثُها ... فتُحِيلُ وَقْعَ السُّوءِ نَحْوَ المُنْزَلَقْ

***

والحُلْمُ يُنْبُوعُ التَّفاؤُلِ سِرُّهُ ... لَوْلا ضِياءُ الشَّمْسِ ما بانَ الأُفُقْ

بَرْدُ الشَّدائدِ لَيْسَ يُدْفِئُهُ سِوَى ... حُلُمٍ يُجَاوِزُ أَطْباقَ الأَرَقْ

لا تَبْتَئِسْ إِنْ جاءَ صَوْتٌ مُرْعِبٌ ... فالرَّعْدُ يَسْبِقُ ماءَ غَيْمٍ مُنْغَدِقْ



نُورُ الشَّمْسِ آتٍ

تأبى النفوسُ الحرّة أن تُسامَ الهوان، وتقضي دون أن ترضى بالذلّ أو ترضخ للباطل وتذعن لأهله. ربّما كانت الحياةُ رهانًا، فإمّا حياةٌ كرامة وسؤدد تسرّ الصديق، وإمّا ممات عزّ وفخار يُغيظ العِدى.

يَمُوتُ الحُرُّ فِي قَيْدِ الطُّغَاةِ ... ويَحْلُو للعَبِيدِ قَذَى الحَيَاةِ
ويُلْقَى فِي المَنافِي صَوْتُ حَقٍّ ... ويُنْكَأُ بِالأَذَى مِنْ كُلِّ عَاتِ
هِيَ العَاهَاتُ تَحْمِلُ فِي خِباها ... زَنَادِيقَ المَشَارِبِ والصِّفَاتِ

***

عَتَبْتُ عَلَى مَآلاتِ اللَّيَالِي ... أَيُدْفَنُ فِي الثَّرَى نَسْلُ الهُدَاةِ!؟
ويَعْلُو فَوْقَ أَشْلاءِ الضَّحَايا ... رُعَاةُ الظُّلْمِ، أَبْنَاءُ العُتَاةِ
لَئِنْ أَوْدَى الظَّلامُ بِنُورِ شَمْسٍ ... فنُورُ الشَّمْسِ فِي الإِصْبَاحِ آتِ



لا يَبْقَى ثوْبٌ جَديد

لا يَنْثني هازمُ اللذّات عن صغير أو كبير، ولا عن رفيع أو وضيع؛ فالموتُ مدركٌ لنا ولو كنّا في بروج مشيّدة.

هِيَ الأَقْدارُ تَفْعلُ ما تُرِيدُ ... وتَحْكُمُها مِنَ اللهِ القُيُودُ

يَجِيءُ وَليدُنا في المَهْدِ يَبْكِي ... وتَبْكِي العَيْنُ إنْ رَحَلَ الوَلِيدُ

ومَهْما طالَتِ الأَعْمارُ فِينا ... إلى أَمَدٍ يَسِيرُ بِنا الوُجُودُ

إذا جاءَتْ مَنِيَّةُ اِبْنِ أنْثَى ... فَلا عُمْرٌ يَطُولُ ولا يَزِيدُ

مِنَ الأَكْفانِ يُنْسَجُ ثَوْبُ مَوْتٍ ... فلا يَبْقَى لَنا ثَوْبٌ جَديدُ

ستَبْلَى في الثَّرى أَجْسَادُ خَلْقٍ ... وأَقْوَامٍ كما بَلِيَتْ ثَمُودُ



هَذا النَّوْمُ مَقْرونٌ بعَار



يا أمّةً خرجت من بيوتِ الطين، وفتحت المشرقَ والمغرب، سائرةً على نهجِ الوحي الأمين، فنزلت القلوبَ قبلَ الميادين، ألا يكفيكِ هذا النوم المسترسِل والخِزْي المُسْتبين، والتفرّق والشتات!؟ أما آن لكِ أن تسلكي ذاك السبيلَ الذي طوَّقتِ به الرقابَ، وأناخ لكِ عندَه التاريخُ والزمان!؟

هُبُـوبُ الـرِّيحِ يُسْـمَعُ فـي الجِـوَارِ ولَفْـــحُ النَّـــارِ يُنْـــذِرُ بـــالبَوَارِ
ومَـــنْ تَـــرَكَ الضَّـــوَاري فـــي حِمَـــاهُ فَـــلا لَـــوْمٌ يَكُـــونُ عَـــلى الضَّـــوَاري
أَفِيقُـــوا يـــا نِيَامًـــا فـــي قَـــرارٍ فهـــذا النَّـــوْمُ مَقْـــرونٌ بعَـــارِ
حُشُـــودُ البَغْـــيِ تَنْتَظِـــرُ انْقِضَاضًـــا بلَيْـــــلٍ أَوْ بِرابِعَـــــةِ النَّهَـــــارِ
رُزِئْـــــتُمْ بـــــالتَّفَرُّقِ فاسْـــــتكَنْتُمْ فكَيْـــــفَ مَنَـــــامُكُمْ دونَ الحِـــــذارِ؟
وصِرتُـــــمْ للتَّنَـــــدُّرِ في التَّشَـــــظِّي أَحاديــــــثَ الأَكَــــــابرِ والصِّــــــغارِ

***

أَمــا مِــنْ صَــحْوةٍ قَبْــلَ الــتَّلاشي؟ تُعِيــــدُ لأُمَّتــــي حُــــرَّ القَــــرارِ

فـــــنَحْنُ مَراتِـــــعُ الأَمجـــادِ فِينـــا قَطَفْناهـــــا بأَبْنـــــاءِ الفَخــــارِ
مَــــدَدْنا للأَعْــــادي أَسْــــيَافَ عِـــزٍّ فَصـــــارُوا مِثْــــلَ ذَرَّاتِ الغُبــــارِ



دَرْبُ بُؤْس

هي الأيّامُ مُمَحِّصاتٌ لأدعياء النُّبل والرحمة، وشاهداتٌ على أخوّة زائفة تنقضي يومَ الحاجة والشتات، يوم خاب العَشَم في أُخوّة الشِّعارات والخطابات. ولكنّ الأيّامَ دُوَل، يومَ يعضّ الخاذل على يديه ويقول: يا ليتني كنتُ معهم.

يُعَاوِدُني الحَنِينُ إلى زَمَانٍ		أُزَيِّنُهُ بآياتِ الغَرامِ

أُغازلُهُ فَمَا أَرْوي اشتِياقي		ومَا يَخْفى، ولا يَخْفو هُيامي

زَمَانٌ قَدْ مَضَى لا حُزْنَ فِيهِ		كريمٌ قد مَضَى مِثْلَ الكِرامِ

***

أُخُوَّتُنا مَزيجٌ مِنْ هُرَاءٍ		عَرفَناهُ بلَيْلاتِ الظَّلامِ

فَلا أَهْلُ العُروبَةِ لليَتَامَى		ولا أَرْضُ العُروبَةِ للمُقامِ

***

سَلَكْنا في اللَّيَالي دَرْبَ بُؤْسٍ		على الأَشْواكِ والمَوْتِ الزُّؤَامِ

ولاقَيْنا الفَجاجةَ مِنْ قَريبٍ		وخُذْلانًا وأَوْهامَ الكَلامِ

***

يُعيِّرُنــــا الشَّـــــقيقُ بمُبْتَلانـــــا ويُلْقِـــــي لَوْمَـــــهُ مِثْـــــلَ السِّـــــهامِ
ويَنْسَـــــى أنَّ الرَّزَايــــا دائِــــراتٌ ولا يَبْقَـــى النَّعـــيمُ عـــلى الـــدَّوامِ
وفي الآيـــــاتِ أنَّ الـــدِّينَ بَـــذْلٌ يَطُـــوفُ عـــلى الأُخـــوَّةِ بالسَّـــلامِ
ويُعْطِــــي مَــــنْ تَــــردَّى في البَلايــــا وفَـــــرَّ مِـــــنَ اللِّئـــامِ إلى الكِـــرامِ



نَبْضُ الشَّدائِد

من نشدَ الـمعالـي ضاقت حولَه ساحةُ النظراء، واتَّسعَت أمامَه الرؤية، وترفّع عن السَّفاسِف، وفاض حِلْمًا وأناةً، وكان بلسمًا لكلّ أَلَـم وضِيق.

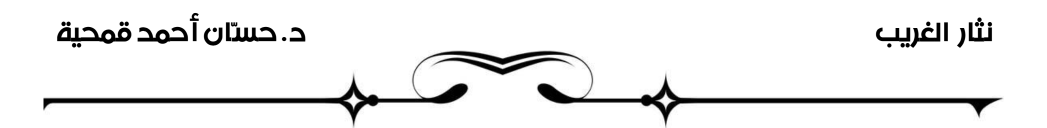
إذا جُبِـلَ الكَمِـيُّ علـى السَّـجايَا ... فـأَهْوَنُ مـا يُلاقِيـهِ الـمَنايَا

تَـراهُ في الشَّـدائِد لا يُبـارَى ... كَـريمَ البَـذْلِ، لا يَرْجُـو الهَـدايا

ومَـنْ كانَـتْ هِوايتـهُ الـمَعالـي ... تَرفَّـعَ عَـنْ زَواريـبِ العَطايـا

ومَهْـمَا راغَ فـي وَفْـرٍ دَعِـيٌّ ... فـإنَّ الـمَرْءَ تَفْضَـحُهُ الرَّزايـا

دُرُوسًـا هـذه الـدُّنْيا وَجَـدْنا ... وفـي أَحْـداثِها تَجْلُـو النَّوَايـا



كانُوا صِغارًا



يزرع الأبناءُ والبنات جمالَ الحياة في منازل الآباء والأمّهات، يكبرون وتكبر الحياة. وحين يفارقون مراتِعَهم الأولى، يَذْوي الضجيج ويعمّ السكون، ولكنّ الحياةَ تخبو وتستكين بِلا شيءٍ من الصخَب.

كانوا صِغارًا ولَحْظُ العَيْنِ يَرْمُقُهُمْ   حَتَّى ظَنَنْتُ بأنِّي لا أُفارِقُهُمْ

وَيَوْمَ مَقْدَمِهِمْ عِيدٌ وتارِيْخٌ   لا زِلْتُ أَحْفَظُهُ، واللهُ يَحْفظُهُمْ

مَلامِحُ النُّوْرِ أَلْقَاها بمَطْلَعِهِمْ   عِنْدَ القُدُوْمِ، فَما تُنْسَى مَطالِعُهُمْ

***

شَبَّ الصِّغَارُ عَنِ الأَطْواقِ وارْتَحَلُوا   واللهُ يَعْلَمُ حَالي إِذْ أُوَدِّعهُمْ

أُغَالِبُ الدَّمْعَ، والغَصَّاتُ تَخْنُقُنِي   كَيْفَ البِعَادُ، وفي قَلْبِي مَنَازِلُهُمْ؟

لا زِلْتُ أَحْنُو والذِّكْرَى تُؤَرِّقُنِي   مِنْ طِيْبِ مَلْقَاهُمْ دامَتْ مَرَاتِعُهُمْ

***

رِفْقًا بِمَنْ بَعُدُوا في زَحْمَةِ الدُّنيا   مِنْ هَوْلِ أَحْزَانِهِمْ قُضَّتْ مَضَاجِعُهُمْ

مَهْما تَطاوَلَ لَمُّ الشَّمْلِ في أَهْلٍ   دَأْبُ المُحَبِّينَ أَنْ تُقْضَى مَجَالِسُهُمْ



نَـبْضُ فُؤادِي

يُروَى أنّ أعرابيّة سُئلت: «من أحبّ أولادك إليكِ؟ فقالك: صغيرهم حتّى يكبر، ومريضهم حتّى يشفى، وغائبهم حتّى يرجع». وقد نظمتُ هذه الأبيات في ولدي الصغير رواد، وكانت ولادته سنةَ ٢٠٠٣ م في مستشفى الأطفال بجوار الـمسجد النبوي بالـمدينة الـمنوّرة على ساكنها الـمصطفى أزكى الصلاة والسلام.

هُــوَ ثالِــثُ الأَوْلادِ نَــبْضُ فُــؤَادِي ... كبَــدِيعِ زَهْــرٍ في رُبُــوعِ بِــلادِي

في خَــيْرِ أَرْضٍ كــانَ يَــوْمُ قُدُومِــهِ ... بَــيْنَ البَقِيــعِ ورَوْضَــةِ الأَمْجَــادِ

قُــرْبَ الحَبِيــبِ محمَّــدٍ وصَــحَابةٍ ... هُــمْ خَــيْرُ أَهْــلِ الأَرْضِ والعُبَّــادِ

شَــبَّ الصَّــغيرُ بحُضْــنِ خَــيْرِ مَدِينَــةٍ ... وزَهَــا رَبِيــعُ العُمْــرِ عِنْــدَ رَوَادِي

أَوْلادُنــا مِــنْ زِينَــةٍ كــانُوا لنــا ... وصَــغِيرُهُم بَــرْدٌ عــلى الأَكْبَــادِ



رِسَالةُ وَالدٍ لمُعَلِّم

قصيدةٌ أهديتها سنة ٢٠١٥ م لـمدرِّس ولدي رواد «الأستاذ محمَّد اللعبون»، أستاذ اللغة العربية فـي مدرسة الشهداء الابتدائية بالرياض، وقد دأب على بذل جهود كبيرة فـي تنشئة الطلّاب على حبّ اللغة العربية وإتقانها؛ كما أُهْديها لكلّ مدرِّس ومعلِّم وأستاذ مخلص فـي عمله التَّعْليمي الرائد.

هَـــذي رِسَـــالةُ وَالـــدٍ لـمُعَـــلِّمِ باسْـــمِ العَطَـــاءِ أَسُـــوقُها فَلْـــتعْلَمِ
البـــاذِلُونَ قَلائِـــلٌ فـــي أَرْضِـــنا مِثْـــلُ الكِـــرَامِ بلَيْـــلِ كَـــرْبٍ أَدْهَـــمِ
مـــا أَطْيَـــبَ الأَخْيَـــارَ يَصْـــفو دَأْبُهُـــم هَـــلْ شَـــارِبٌ مـــاءً كشَـــارِبِ زَمْـــزَمِ!؟
هـــذا الــــمُعَلِّمُ شُـــعْلةٌ وَضَّـــاءَةٌ لا يَنْحَنِـــي عِنْـــدَ اكْتِسَـــابِ الــــمَغْنَمِ
إِنِّي أَرَاهُ في الأَنَـــــامِ مُـــــبَجَّلًا وكَـــــذَا أَرَاهُ شَـــــامِخًا كَـــــالأَنْجُمِ
بَـــذَلَ العَطِيَّـــةَ فاسْـــتَحَقَّ قَصِـــيْدةً وحُرُوفُهَـــا تُهْـــدَى لكـــلِّ مُعلِّـــمِ



أولُو العَزيمة

جاءت هذه الأبياتُ بمنزلة المباركة لتفوّق ولدي رَواد في مدرستِه سنة ٢٠١٥ م، ولكلّ الطلبة الناجحين.

قَـــدَرٌ عَلَـــيْهم إنْ يَفُـــوزوا يَشْـــكرُوا　　　ربًّـــا كَـــريمًا بِاسْـــمِهِ نَسْـــتَغْفِرُ

وأُولُـــو العَزيمـــةِ للعَـــلاءِ طَـــريقُهُمْ　　　نحـــوَ الفَـــلاحِ تَتَـــابعُوا فاسْـــتَبْشَرُوا

مِـــنْ كـــلِّ حَـــظٍّ وَافِـــرٍ قُسِـــمَت لَهُـــمْ　　　آيـــاتُ نُجْـــحٍ بـــالظَّلامِ تُنَـــوِّرُ

لا يَسْـــتَوِي مَـــنْ جَـــدَّ في عَلْيائِـــهِ　　　ومُقَصِّـــرٌ مِـــنْ جُوعـــهِ يَتَضَـــوَّرُ

بَلَـــغَ الحَصِـــيفُ مَراتِبًـــا يَسْـــمو بِهـــا　　　أَمَّـــا الكَسُـــولُ فدَرْبُـــهُ مَتَعَثِّـــرُ



أنِينُ البعاد

تقضي الحياة أن يغادرنا الأحبّة يومًا ما، فينتزعون منّا مهجَ القلوب وأنسَ النفوس، ويستمطرون دموعَنا ويَحرقون أكبادَنا.

وغَـادَرَنـــــي الأَحِبَّـــةُ ظُهْـــرَ يَـــوْمٍ   عـــلى عَيْنِـــي أَشَـــدّ مِـــنَ السَّـــوَادِ

فَرُحْـــتُ أُغالِـــبُ النَّجْـــوَى بصَـــمْتٍ   وقَـــدْ صـــارَتْ دُمُـــوعي في انْقِيَـــادِ

ومـــا دَمْـــعٌ يُفَـــرِّجُ عَـــنْ بِعَـــادٍ   إذا عَـــزَمَ الحَبِيـــبُ عـــلى البِعـــادِ



أمِّي

قلبٌ يعطي بلا حدّ، ونفس تحنو ملءَ الـمدى،
دفءٌ لا يخشى البرد، ونورٌ لا يبالي بالعتمة،
ربيع دائم، وسخاء وارِف.

مَـــنْ خَـــاضَ لأَجْـــلِي الأَخْطَـــارا ... أمٌّ أَهْــــــــدَتْنِي الإِيثَـــــــارا
أمٌّ لم تَبْخَـــــلْ فـــــي يَـــــوْمٍ ... أَنْ تَغْـــــدوَ غَيْثًـــا مِـــــدْرارا
شِـــــعْري أُهْديــــهِ لِعَيْنَيْهـــــا ... حتَّـــــى يَتَـــــدفَّقَ أَنْهَـــــارا
هـــي قَبْســـةُ نُـــورٍ فـــي دَرْبـــي ... ولِدَأْبــــي تُعْطـــي الإِبْصـــارا
فـــي الـــنَّفْسِ رَســـائِلُ تَأْمُرنـــي ... أَنْ أَحْمِـــــلَ عَنْـــــكِ الأَوْزارا
يَحْميـــكِ إِلهِـــي مِـــنْ سُـــوءٍ ... ويَزيـــــد لِعُمْــــرِكِ أَعْـــــمارا



أبي

مَنْ كمثله يعطي بِلا منّ، ويتعب بلا كَلَل؛ عاطفة وحبّ لا ينتظران مقابلًا. يحمل أبناءَه مثلَ جبلٍ لا يلين، ويسعى بدأبٍ منقطع النظير ليسعدَهم ولو على حساب سعادته؛ فيمتدّ عبيرُ بذله مدى العُمْر، وقد فاز من كان ولدًا صالحًا يدعو له بعدَ فراقِه هذه الدنيا.

أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ بَيْنَ السَّعْيِ والطَّلَبِ ... تُعْطِي وتَمْنَحُ، لا تَشْكُو مِنَ التَّعَبِ

وكَمْ سَهِرتَ عَلَى دَرْسِي وتَرْبِيَتِي! ... عَيْناكَ تَرْقُبنِي فِي الجَدِّ واللَّعِبِ

إذا بَكِيتُ على هَمٍّ يُسَاوِرُنِي ... كُنْتَ الحَزينَ على حُزْنِي بِلا سَبَبِ

وإِنْ فَرِحتُ فما أَحْلاهُ مِنْ خَبَرٍ ... كأنَّما فَرحِي أَرْجَى مِنَ الذَّهَبِ

يَجْزيكَ ربِّي بيَوْمِ الحَشْرِ مَرْتَبَةً ... ما حازَها بَشَرٌ مِنْ سالِفِ الحِقَبِ



أتَيْتُكَ طائِعًا

فـي لحظات الصفاء والتأمّل تنادي النفس خالقَ الأكوان مُنيبةً إليه، فلا تتّسع الكلمات لِـما فـي القلب من حبّه، وتُستمطَر الدموع ويسجد الفؤاد فـي محرابه؛ ويقول العبدُ الآيب إليه: يا الله، يا سرّ سعادتـي وحسنَ ظنّي، يا أمانَ قلبي وسُؤْلي، يا كلّ الـمُنى والرجاء، اعفُ عنّي واغفر لي، فأنا بحبّك أَحْيا.

أَتَيْتُـــكَ طائِعًـــا مِـــنْ غَـــيْرِ مَـــنٍّ لِعَفْـــوِكَ قادَنـــي حَـــدْسِي وظَنِّـــي

وَمَـــا لِي في رِحابِـــكَ يـــا إلَهِـــي شَـــفِيعٌ غَـــيْرُ قَلْبِـــي الـــمُطْمَئِنِّ

فـــإِنْ تَعْـــفُ فَعَفْـــوُكَ لي رِجَـــاءٌ وجُـــودكَ فـــائِضٌ في كـــلِّ رُكْـــنِ

***

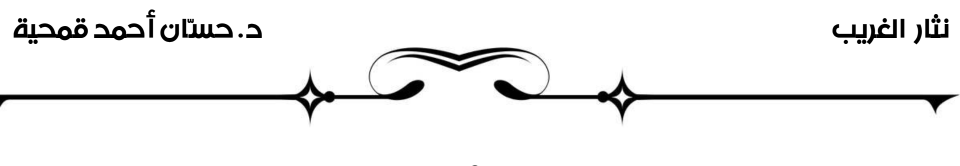
وكَـــمْ طافَـــتْ عَـــليَّ سِـــهَامُ غَـــيٍّ! فَتَـــاهَ القَلْـــبُ في كَمَـــدٍ وحُـــزْنِ

وهامَـــتْ بـــي شَـــكُوكٌ في فُـــؤَادِي ولكنِّـــي أَنَبْـــتُ فَلَـــمْ تُهِنِّـــي

***

تَحُـــومُ بسَـــاحةِ الـــمَرْءِ الـــمَنَايا ويَلْقَـــى حَتْفَـــهُ رَغْـــمَ التأَنِّـــي

بَقـــاءُ الحَـــالِ في سَـــعْدٍ مُحَـــالٌ ســـتَدَهْمُنا الـــمَنُونُ بغَـــيْرِ إذْنِ



دُعاءُ الأسْحار



هنا لا يتكلّم إلّا القلب فيخاطب النور، ولا تنطق إلّا الدموع فتعارك القدر؛ هنا يُسمَع الصمت وتُلقَى الأثقال؛ هنا تُمرّغ العتباتُ ويُدْحَض الـمُسْتحيل؛ هنا بالفزع إلى الله وحده يكون يقينُ الإجابة.

إنِّـــي رَجَوْتُـــكَ أَنْ تُقِيـــلَ عِثَـــارِي — وتكـــونَ عَوْنـــي في اتِّخَـــاذِ قَـــرَارِي

ورَفَعْـــتُ كَفِّـــي في مجَاهِـــل لَيْلـــةٍ — وعـــلى الخُـــدُودِ مَـــدامِعي ووَقَـــارِي

فاقبـــلْ إلهِـــي دَعْوَتِـــي ومَعَـــاذِري — لا شَيْءَ أَرْجَـــى مِـــنْ دُعَـــا الأَسْـــحَارِ

دَمْـــعُ العُيُـــونِ إذا يَسِـــيْلُ بـــدَعْوَةٍ — نُـــــورٌ يُجَـــــلِّي ظُلْمَـــــةَ الأَسْرارِ

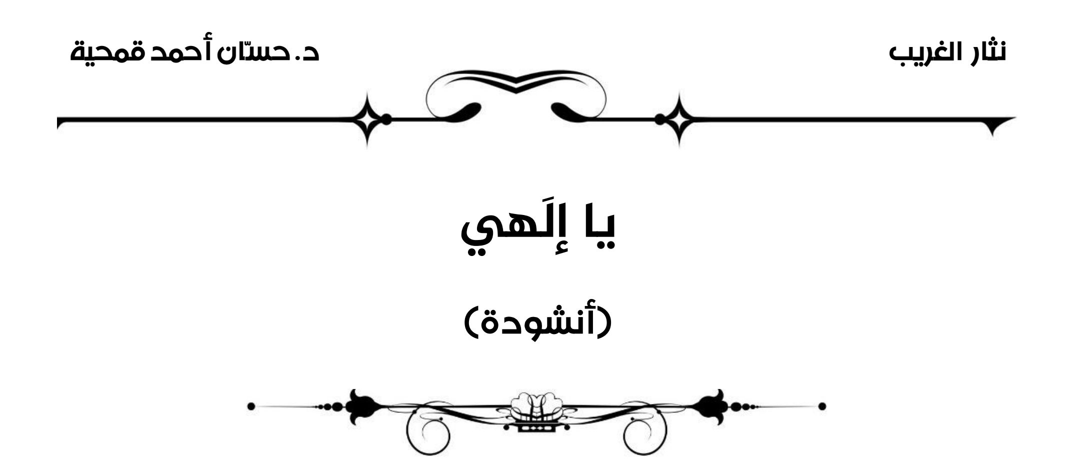
مـا أَصْـدَقَ العَـبَرَاتِ في جَـوْفِ الـدُّجَى — تُحْيِـــي العِطـــاشَ كهَاطِـــلِ الأَمْطـــارِ



لَسْـتُ بِمُدَّعِي

يا حظَّه من كانَ من عبادِ الرَّحْمن الذين {يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسلامًا ❋ خالدين فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا ومقامًا}.

أَسْــــــكَنْتُ حُبَّـــــــكَ أَضْلُعِــــــــي
شَــــــــغَفًا، ولَسْـــــــــتُ بِمُـــــــــدَّعِي
وتَرَكْــــــــــتُ قَوْمًـــــــا نــــــــافَقُوا
قَــــــدْ مَــــــلَّ مِــــــنْهُمْ مَسْــــــمَعي
مــــــــاذا يَضِــــــــيرُ جَفــــــــاؤُهمْ
إِنْ كُنْــــــــتَ يــــــا ربِّــــــي مَعِــــــي



يا إلَهي

(أنشودة)

مَللتُ ضَجيجهُم فلجأتُ إليك، فاجعلني يا إلهي كالشمس تعيش وحيدةً لكنّها لا تملّ من الإشراق، أو كالقمر يأتـي إلى الليل فيُداوي ظلمتَه ويخفّف عتمته ولا يبالي بنُكْرانه.

يا إلهي يا إلهي   أَنْتَ عَوْني للفَلاحِ

أنتَ سُؤْلي، أنتَ قَصْدي   نحوَ راياتِ الصلاحِ

***

نورُكَ الهادي دليلي   في الغُدُوِّ والرَّواحِ

فاعفُ عنّي واصطَفيني   بينَ عُبّادٍ مِلاحِ

***

واجْعَلِ اللهمَّ قَلْبي   في هُدوءٍ وارتياحِ

إنَّ مَنْ يُرْضيكَ دومًا   سالِكٌ دربَ النَّجاحِ



بُشْرَى العِيد

(أنشودة)

لا يطرد الكريمُ من يقصده، فكيف إذا كان الكريمُ ربَّ العزّة والجلال، وقد أتاه حجّاج بيته العتيق يسألونه العفوَ والصفحَ والغفران.

صُبْحٌ أَتَانا مُسْفِرا ... بالعِيْدِ جاءَ مُبَشِّرا

كُلُّ العُيُونِ رَنَتْ لَهُ ... مِن بَعْدِ نَوْمٍ أو كَرَى

وأُوْلُو العَزيمةِ شَمَّروا ... للحَجِّ في أُمِّ القُرَى

يَرْجُونَ رَحْمةَ خَالقٍ ... والدَّمْعُ مِنْهُمْ قَدْ جَرَى

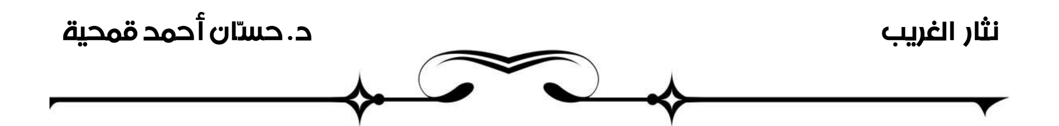
طَافُوا الرِّحَابَ وكَبَّروا ... يا حَظَّهُ مَنْ كَبَّرا

قَصَدَ الكَريمَ بقَلْبِهِ ... ولذَنْبِهِ مُسْتَغْفِرا

وعلى التِّلالِ مَنَائِرٌ ... قَدْ نَوَّرتْ عَتْمَ الثَّرى

فِيها عِبَادٌ أَجْهَشُوا ... والدَّمْعُ يَجْري أَنْهُرا

فارْحَمْ إلهي ضَعْفَهُمْ ... نَادَوْكَ يا ربَّ القِرَى



لَنا بالبَذْل أمْنِيَة

(أنشودة)



«نَمُـــــــدُّ إِلَيْـــــــكَ أَيْـــــدينا لنُسْــــــعِدَ كـــــــلَّ إِنْســــــانِ

وَيَرْقَــــــى فـــــي تَبسُّــــمِهِ تَكافُلُنـــــــــا بإحســــــــانِ»

✳✳✳

سَــــبيلُ الخَــــيْرِ يَهْــــدينا لأَنْــــــوارٍ وإيــــــــمانِ

ويَرْفَــــعُ شَــــأْنَ دُنْيَانــــا ويُعْــــلي هــــامَ بُنْيَــــانِ

✳✳✳

إذا مـــــا الـــــنَّفْسُ خالَطَهـــــا فَــــؤادٌ عــــاطِفٌ قانِــــــي

سَـــقاها اللهُ مِـــــنْ عَـــيْشٍ كَـــــريمٍ رائِــــقٍ هانِــــــي

✳✳✳

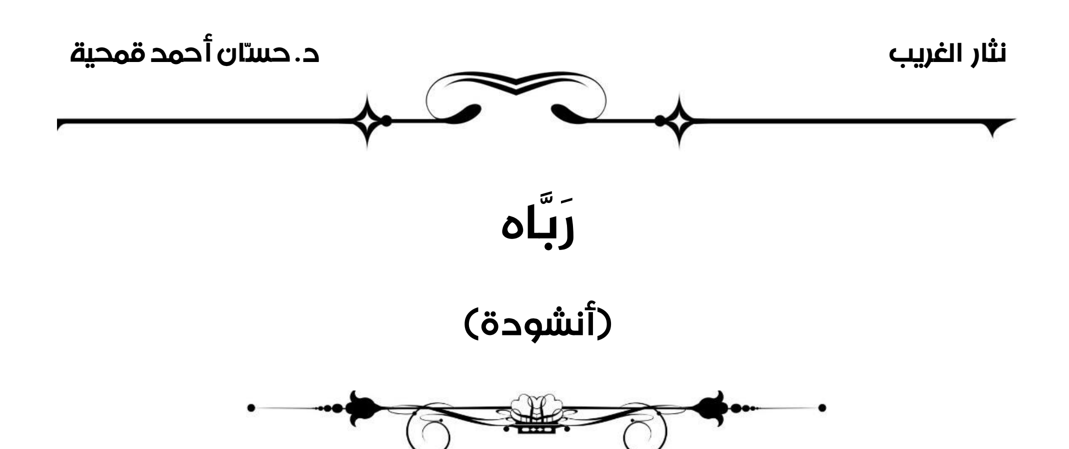
لَنـــــا بالبَــــــذْلِ أُمْنِيَـــــةٌ عـــــلى أَبْــــوابِ غُفْــــرانِ

بفَضْــــــلِ اللهِ نُعْطاهــــــا إِلَـــــهِ الإِنْــــسِ والجـــــانِ

✳✳✳

مــــــعَ اللهِ لنـــــا فَــــوْزٌ بــــــإِكْرامٍ وَغُفْــــــرانِ

ورَوْضــــــاتٍ وجَنَّـــــاتٍ ولأَلْاءٍ وَمَرْجـــــــــانِ



رَبَّاه

(أنشودة)

الأبياتُ الأولى «الـمُنَصَّصة» من هذه الأنشودة قديمة ومعروفة، ولكن لم أتبيّن قائلَها، وقد أضفتُ إليها بقيّة الأبيات لإنشادها معًا.

«رَبّـــــــاهُ يـــــــا ربَّ الــــــوَرى يـــا مَـــنْ عـــلى العَــرْشِ اســتَوى

أتـــــاكَ عَبْـــــدٌ ضـــــارِعٌ بِنـــــارِ ذَنْبـــــهِ اكْتَــــوى

فاقْبَلْهُ يا ربَّ الوَرَى

***

فاقْبَلْـــــهُ يــــــا ربَّ الهُـــــدَى فَعَبْـــــدُكَ العـــــاصي نَـــــوَى

واجْمَعْـــــهُ مَـــــعْ حبيبِـــــهِ ولتَنْتَهـــــــي آهُ النَّـــــــوَى

***

رُحْمـــــاكَ يــــا رَحْمــــانُ بــــي أَنْـــــتَ الشَّـــــديدُ بـــــالقِوَى

يــــا ربُّ قَلْبـــــي لم يُطِـــــقْ فـــــي قلبِـــهِ هـــذا الجَــــوَى»

***

ربَّـــــاه إِنِّـــــــي خـــــائِفٌ   فـــــالأَمْنُ منِّـــــي قَـــــدْ ذَوَى

ارحَـــــمْ إلهـــــي خـــــافِقِي   يـــا مَـــنْ لَـــهُ صِـــدْقُ الهَـــوَى

***

هَـــلْ مِـــنْ أَنـــيسٍ غَـــيْرُكُمْ   إِنْ طـــالَ لَيْـــلٌ أو ثَـــوَى؟

هَـــلْ مِـــنْ مُجِيـــبٍ دَعْوَتـــي   إِنْ نـــاءَ سَـــعْدِي واكْتَـــوى؟

***

أَشْـــقَى الحَيَـــارى هَـــمُّهُمْ   كَـــمْ حـــائِرٍ مِـــنْهُمْ غَـــوَى!

لله يَـــأْوِي راشِـــدٌ   يـــا ربُّ بـــارِكْ مَـــنْ أَوَى

***

لـــي دَعْـــوَةٌ مَرْجـــوَّةٌ   يـــا راحِمًـــا كُـــلَّ الـــوَرَى

اِسْـــقِ يَقِينـــي شَرْبَـــةً   مِـــنْ كـــفِّ خَـــيْرِ مَـــنْ سَـــقَى

***

وَالْطُـــفْ بعَبْـــدٍ تائِـــهٍ   صَـــوْبَ الـــمَعاصِي قَـــدْ هَـــوَى

واقْبَـــلْ بفَضْـــلٍ وارِفٍ   مَـــنْ تـــابَ مِـــنْ بَعْـــدِ الغَـــوَى



أنِيسي في الحَياة

لا شيءَ أصفى وأنقى من الجلوس مع كتاب الله وسيرة نبيِّه عليه الصلاة والسّلام وآله وأصحابه.

أَنِيســـــــي فِي الحَيَــــــاةِ كِتَـــــابُ ربِّــــــي

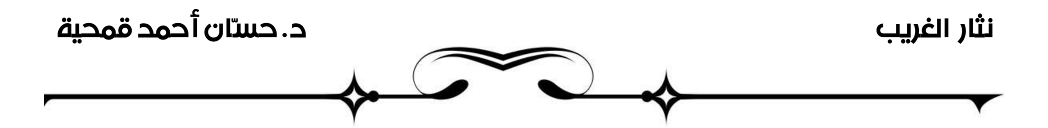
بـــــــهِ أَلْقَـــــــى الهَنَـــــاءَةَ والسُّـــــــرورا

وهَـــــــدْيُ مُحَمَّـــــــدٍ أَرْقَــــــى مَـــــرامِي

يُعَطِّـــــــرُ خافِقِـــــــي مِسْكًـــــــا ونُـــــورَا

أُحِــــــبُّ صَــــــحَابةَ الهـــــــادِي جَمِيعًـــــا

وآلَ البَيْـــــــتِ ... أَحْسَـــــــبُهمْ بُـــــــدُورا



على شِعْر تَلاقَيْنا



اليراعُ رفيقٌ جميل، وصديق وفـيّ، وساهرٌ أمين، إذا ناديته لبّى وإذا أمرته أطاع؛ تُفرَغ به خفايا النفوس وهَمْهمات الروح، يَذْوي رُوَيْدًا رويدًا مع كلّ بوح، ويودّع صامتًا بعدَ أن يذوبَ على سطور الورق.

رَفِيقـــي فِي الـــدُّجَى نَظْـــمُ القَصِـــيدِ ... يُـــدَانِيني ويَشْـــرَبُ مـــن وَرَيـــدي

أَبُـــثُّ إِلَيْـــهِ أَوْجـــاعِي وحُزْنـــي ... وأَلْحَانًـــا يُغَنِّيهـــا نَشِـــيدي

فَضَـــاءُ الشِّـــعْرِ يَرْقَـــى بالـمَعانـــي ... «فَـــيَلْمِسُ جانِـــبَ العِقْـــدِ» الفَريـــدِ

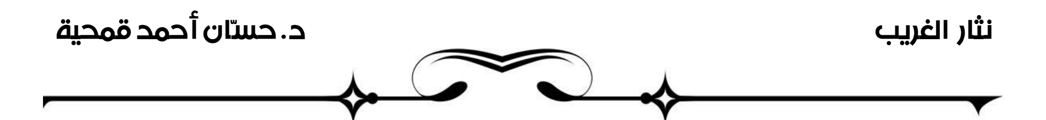
يُقَـــرِّبُ للقُلُـــوبِ ذَوَاتِ عِشْـــقٍ ... ويَبْـــدُو مِثْـــلَ مَـــاءٍ للبَعِيـــدِ

***

دَعانـــي للسِّـــجالِ حُـــدَاةُ نَظْـــمٍ ... فلبَّيْـــتُ الـــدُّعاءَ مـــعَ الوُفُـــودِ

وأَغْرَوْنـــي بـــأَلْوانِ القَوافـــي ... وأَشْـــعارِ البَيَـــارِقِ والبُنُـــودِ

عـــلى شِـــعْرٍ تَلاقَيْنـــا جَمِيعًـــا ... فـــما أَحْـــلَى اللِّقـــاءَ عَـــلَى القَصِـــيدِ



يا عازفًا لَحْنَ الخُلُود



لا يَرْقى لـمقامه أحد، ذاك الذي بذلَ حياتَه حين آمنَ وأيقن بالوعد الحقّ، ذاك الذي باع نفسَه لله، فطُوبى له من بيعٍ رابح. ألا يكفيه قوله تعالى: {إِنَّ اللهَّ اشْتَرَىٰ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُونَ فـي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فـي التَّوْرَاةِ والْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ، ومَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهَّ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ، وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

كُـــلُّ الـــــمَنازلِ دُونَـــهُ لا يُرْتَجَــى أَنْ تُبْتَغَـــى، إنْ جَـــدَّ جَـــدٌّ أو طُلِــبْ

فمَقامُــــهُ جَنَّـــاتُ عَـــدْنٍ رِيحُهـــا مَعْجُونَـــةٌ بالطِّيــبِ تَـدْعو مَـنْ رَغِــبْ

يـــا عازِفًـــا لَحْــنَ الخُلــودِ برُوحِـــهِ لَحْنـــاً تَجــلَّى مِثْــلَ أَنْــوارِ الشُّــهُبْ

آمَنْــتُ أَنَّــكَ خَـيْرُ مَــنْ طَلَــبَ العُــلا أَكْـرِمْ بهـا تِلْـكَ الشَّــهادةُ مِــنْ نَسَــبْ

***

نَقَــشَ الشَّــهيدُ عــلى القُلــوبِ خِطابَــهُ وتَجـاوَزَتْ أَخْبـارهُ سَـمْكَ الحُجُــبْ

يــا طِيــبَ مَــنْ بلــغَ الجِنــانَ صَـنِيعُهُ وتَســيَّدَ الــنَّظْمَ الجَميــلَ الــمُلْتَهِبْ



كِتابُ الحَيَاة

يسعى الباذِلون وأهلُ العطاء إلى دنيا بلا أوزار، وآخرة بلا ذنوب؛ ويبقى الشهيد أكرمَ من بذل.

إِنْ فَاتَ نَصْرٌ فَلا تَقْنَعْ بِمَنْقَصَةٍ
إِنَّ الشَّهادَةَ تَبْقَى فَخْرَ مَنْ طَلَبا
هَذِي الحَيَاةُ كِتابٌ أَنْتَ تَسْطُرُهُ
فاجْعَلْ صَحَائِفَهُ ذُخْرًا لِمَنْ كَتَبَا



أمِيرَةُ الشُّهَداء

كلّ مقامٍ فـي البَذْل دون مقام الشهداء، من ذَكَرٍ أو أنثى.

كَـــمْ قَـــدْ تَجَـــدَّدَ فـــي الشَّـــهيدِ رِثـــائِي!
حتَّـــى بكَيْـــتُ أَمـــيرةَ الشُّـــهَداءِ

مـــا أَنْفَقَـــتْ مِـــن عُمْرِهـــا لَـــوْ لَـــمْ تَكُـــنْ
فـــي نَظْـــرةٍ تَرْنُـــو إلى العَلْيَـــاءِ

لـــمَّا بـــدا نُـــورُ الجِنـــانِ أَمامَهـــا
قالَـــتْ: ســـأَبْذلُ للجِنـــانِ دِمـــائِي



طَريقِي لِلْمَعالِـي

السالكُ طريقَ الـمَجْد والعلم، السائرُ على درب العلا، الـمُوقِد شعلةَ الحرّية، هو ذاك ابن العزّة والكرامة.

صَـبَرْتُ عـلى تَصـاريفِ الزَّمـانِ ... وزادَ تَجلُّـدي، وسَـما بَيانـي

فأَطْلَقـتُ العِنـانَ لصَـوْتِ شِـعْري ... فكـانَ عَبـيرُهُ مِـلْءَ الـمَكانِ

ومـا أُلْفِيـتُ في يَـوْمٍ جَبانًـا ... ولا أَرْضى الحَيـاةَ مـع الجَبـانِ

أُلاقِـي هَـوْلَ أيَّـامي بقَلْـبٍ ... تَمـرَّسَ فـي مُقارَعَـةِ السِّـنانِ

وأَمْضِـي في طَريقِـي للمَعـالي ... بعَـزْمِ عَريكَتـي، وشَـذا لِسانـي

***

صَـديقِي في اللَّيـالِي بَعْـضُ شِـعْرٍ ... وخَـوْضٌ في السِّـجالِ وفي الـمَعانـي

أُحِـبُّ الـنَّظْمَ يَقْطـفُ مـن خَيـالٍ ... ويَرْقَـى بـالنُّفُوسِ إلى العَنـانِ

ويَنْسُـجُ مِـنْ قُطُـوفِ الـوَرْد بُـرْدًا ... تُزيِّنُـهُ الحِياكَـةُ بـالجُمانِ



رَحِيقُ الـمُقَل

هي الأخلاقُ كالأرزاق، يعطيها الله بقدرٍ لعباده ... هم أناسٌ يزرعون الأمل، ويُداوون الجراحَ بالكلمة الطيّبة والعمل الصالح، هم كالرّواحِل الثابتة يتميّزون بين الناس، هم مشاعلُ الخير والنور، أصحابُ هممٍ عالية تناطح السحابَ، الواحدُ فيهم نسيجُ وحده ... هم الأنقى والأرقى.

أَحُـــوكُ بشِـــعْري نَسـيجَ الأَمَـــلْ   فـــأَجْنِي رَحيـــقَ سُرورِ الـــمُقَلْ

وأَنْثُــــرُ زَهْــــرًا عـــلى دَرْبِهـــا   لعَـــلِّي أُداوِي عَنِيــــدَ العِلَــــلْ

أَمِيـــلُ لصَـــحْبٍ كِـــرامِ النُّفُـــوسِ   أُنـــاوِئُ فِـــيهِمْ زمـــانَ الـــمَلَلْ

وأَمْقَـــتُ جِلْفًـــا يُريـــدُ الظُّهُـــورَ   وأَغْـــبُطُ حُـــرًّا كَثِـــيرَ العَمَـــلْ

✳✳✳

ســـأَجْعلُ يَـــوْمِي رَفيـــقَ العُـــلا   فطَعْـــمُ الـــمعالِي كشَـــهْدِ العَسَـــلْ

وأَسْـــلُكُ فَجًّـــا عـــلى وَعْـــرِهِ   إذا بـــانَ فيـــهِ بَريـــقُ الأَمَـــلْ



إذا غَصَّ يَوْمي

دفقةٌ من المشاعر تُداعب الفؤاد، تتوازعها اللهفة، ويجمعها الحلم، ويَعْركها العزم.

صِـــلِيني، ولكـــنْ بلَهْـــفٍ، وكُونـــــي ... كقَطْـــرٍ يُـــداوي جَفـــافَ عُيُونِـــــي

وجُـــودي عَـــليَّ، إذا غَـــصَّ يَـــوْمي، ... بـــــدَمعٍ هَتـــونٍ وقَلْـــبٍ حَـــزينِ

***

يُعـــارِكُ حُلْمـــي شَـــتاتُ الحَيـــارى ... ويَـــمْنَعُ فَجْـــري أَنـــينُ السُّـــجونِ

وَيَنْكـــأُ جُرْحـــي عـــلى جانِبَيْـــهِ ... شَـــقيقٌ تَخـــلَّى، فـــأَرْدى ظنُونِـــي

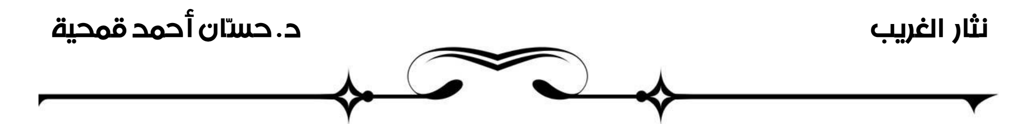
***

وَكَـــمْ قَـــدْ شَـــقَقْتُ بدَأْبـــي طَرِيقًـــا ... فَفُـــزْتُ، وكـــانَ إلهـــي مُعينـــي!

وجُـــزْتُ حِيَاضًـــا بعَـــزْمِ الأَمانـــي ... نَقَشْـــتُ عَلَيْـــهِ حَصـــادَ السِّـــنينِ

فَـــلا اليَـــأْسُ يَطْـــرقُ بـــابَ رَجـــائي ... ولا الخَـــوْفُ يَخْـــدشُ صِـــدْقَ يَقينـــي

ولا الحُـــزْنُ يُقْصِـــي بَشاشَـــةَ وَجْهـــي ... فَضَـــيْفي عَزيـــزٌ بِشَـــرْعي وَدِينـــي



ما أخْبَثَ عَيْشَ اللُّؤَماء!



طريقُ المعالي هِبةٌ من الله، ثمنُه البذل والعطاء،
لا يَسْتسيغه حاقدٌ، ولا يحظى به لئيم.

أَشْـــيائي مَجْـــدٌ وعـــلاءٌ   وجَبـــينُ الشـــمسِ الشَّـــمّاءِ
لا اللـــؤمُ يخـــالِط أيّـــامي   مـــا أَخْبـــثَ عَـــيْشَ اللُّؤَمـــاءِ!
والحِقْـــدُ يُنـــادي طُغْمتَـــهُ   والعَفْـــوُ رِداءُ الحُكَـــماءِ
وصـــلاحُ الـــنَّفْسِ لنـــا نَجْـــمٌ   فـــي ظُلْمَـــةِ غـــيٍّ عميـــاءِ
والجـــودُ يُرقّـــي عُصْـــبَتَهُ   كـــي تَسْـــمُو نحـــوَ العَلْيـــاءِ
فيُنـــيخُ الـــمَجْدُ بســـاحتِها   كـــالرَّوْضِ تَـــودَّدَ للـــماءِ



أحْيَا على مَضَض



يقف الفقيرُ الـمعدِم حائرًا أمامَ قسوة هذه الأيّام، يتساءل: كيف لا أجد عونًا لي وأنا قابعٌ فـي أرض الأنبياء والرُّسُل، أَبلَغَتْ القسوةُ بالناس هذا الـمبلغ!؟ هل نسوا تعاليمَ دينهم وهديَ شريعتهم، هل طاب لهم أن يروا ويسمعوا أنّات الـمساكين والأرامل واليتامى والضُّعَفاء فلا يحرّكون ساكنًا ولا يبذلون ويتصدّقون. ولكن، لن يعدم الـمحتاجُ والبائس والـمستَضْعَف أن يبعث بآهاتِه إلى السماء، ينتظر غيثَ الـمولى العظيم، ورحمة ربّ العالـمين التي وَسِعَتْ كلّ شيء.

قَسَـــــتْ عـــــلى مِنْكَبِـــــي أَرْضُ الرِّسَـــــالاتِ
وكافَـــــــأَتْنِي بآهـــــــاتٍ وأَنَّـــــــاتِ
قَـــدْ طـــابَ فِيهـــا بـــأَنْ أَحْيَـــا عـــلى مَضَـــضٍ
أَجُـــــرُّ بُـــــؤْسِي بأَوْجـــــاعِ الـــــمَتاهاتِ
لا شَيْءَ يُؤْنِسُـــــــنِي أو شَيْءَ يُسْعِدُنـــــــي
إلاَّ نِـــــــداءٌ إلى ربِّ السَّـــــــماواتِ



أحادِيثُ مُخَبَّأة

من لهذا العاجِز المُنهَك والبائس المُضْنَى في درب الحياة الوعِر؟ من يُقيل تجاعيدَ زمنه القاسي ووجعه المقيم؟ من يخفّف لوعاتِ قلبه وغُصّات روحه؟ من يحمل معه أوزارَ ضنك العيش ومرارة الأيّام المُقفِرة التي شبع من ثقلها وعبّ من وطأتها؟

قَضَيْتُ عُمْرِي بِلا سَعْدٍ ولا فَرَحٍ
وفي تَجاعِيدِ وَجْهِي صِدْقُ أَوْجاعِي
في نَبْضِ قَلْبِي أَحادِيثٌ مُخَبَّأةٌ
تَرْوِي على دَفْتَرِ الأَيَّامِ أَوْضاعِي
وَكَمْ تَذَوَّقتُ فِي الدُّنْيَا مَرَارتَها
حَتَّى سُقِيتُ بِها ما فَوْقَ إِشْباعِ!



أأوْجَعَكَ الفِراق؟

آهٍ من الفِراق ولحظاته، يحزّ القلوب ويبكي الأفئدة حتى تستحيلَ ماء حزينًا.

قالَـــــــتْ: أَأَوْجَعَـــــكَ الفِـــــراقُ لعَهْـــــدِنا

وبَقِيـــــتَ تَنْـــــزِفُ فـــــي لَظَـــى النِّـــيرانِ؟

فأَجَبْتُهـــــا والـعَــــــيْنُ تَحْبِـــــسُ دَمْعَهـــــا

مـــــا للرَّمـــــادِ مَشـــــاعِرُ الإِنْسَـــــانِ!



خِزْيٌ وخِذْلان

ما زال حديثُ نبيّنا عليه الصلاة والسلام قائمًا بيننا [سألتُ ربّـي ثلاثًا، فأعطانـي اثنتين، ومنعني واحدةً؛ سألتُ ربّـي أنْ لا يُهْلِكَ أمّتي بالسَّنَةِ، فأعطانيها، وسألتُهُ ألَّا يُهْلِكَ أمّتي بالغرَق، فأعطانِيها، وسألْتُهُ ألَّا يَجْعَلَ بأسَهَم بينَهم، فمنَعَنِيها].

أَعْـــداؤُنا سَـــلِمُوا مِـــنْ بَـــأْسِ قُوَّتِنـــا

أَمَّـــا الشَّـــقيقُ فـــذَاقَ الـــمُرَّ والحَزَنـــا

لَمْ يَبْـــقَ خِـــزْيٌ قَرَأنـــا عَنْـــه في كُتُـــبٍ

إلَّا ابْتَلانـــا بـــهِ حُكَّـــامُ أُمَّتِنـــا

يـــا مَرْكَبًـــا عَمِيَـــتْ في الحَـــقِّ وِجْهَتُـــهُ

أَيْـــنَ السَّـــبيلُ إذا مـــا خـــانَ وارْتَهَنـــا؟



غَيْمٌ سَكُوب[٦]

طعمُ الفِراق مرّ، فكيف بفراقٍ بطعم الـموت والرحيل!؟

عَلَى عَجَلٍ يُغادِرُنا الحَبيبُ

ويَطْوِي صَفحةً ذاكَ الطَّبيبُ

كَريمُ الطَّبْعِ، في الأَحْداث شَهْمٌ

تُجافِيهِ النَّوَاقِصُ والعُيُوبُ

يُحاذِرُ أن يَصُدَّ أَخًا أَتاهُ

كأنَّ سَماءَهُ غَيْمٌ سَكُوبُ

***

نَصِيبي عِنْدَ أَحْبابي غِيَابٌ

وحَظِّي مِنْ هَوَى الدُّنيا كَئِيبُ

---

[٦] فـي رِثاء أَحْد الزُّملاء الأطبَّاء، رحمه الله.



نَـمْضِي بلا هَدَف

أيّ قاعٍ وصلنا إليه! لقد بلغنا من التفرّق والتمزّق شأوًا بعيدًا، وغدا دعاةُ الإصلاح والتقويم فينا مَنْبوذين مَدْفوعين بالأبواب.

نَـــــارٌ تَثُـــورُ عَلَـــى سَـــاعٍ لِيُصْـلِحَنـــا

لَـــمْ يَبْـــقَ فِـــي أَهْلِنـــا رَأْيٌّ لِـمُـحْـتَـــرِمِ

مـــا عَـــادَ يَجْمعُنـــا قَـــوْلٌ ولا عَمَـــلٌ

نَمْضِـــي بِـــلا هَـــدَفٍ، نَحْيـــا بِـــلا حُلُـــمِ



عُذْرًا يا جُرْحًا

تتكاثر الآلامُ فينا، فقد كان جرحُنا الغائر بفقدان الأَقْصى وحيدًا، فبات اليومَ واحدًا منها. وما نفعُ أن يعرفَ الساري السبيلَ ودونه من أهله ألفُ مانع ومتربّص!؟

عُـــــذْرًا يــــــا جُرْحًـــــا في الأَقْصَـــــــى
فجِـــــــــراحُ الأمَّـــــــــةِ لا تُحْصَـــــــــى
مـــــا نَفْـــــعُ طَريــــــقٍ نَعْرفُــــــهُ
وعــــــلى الظُّــــــلّامِ قَـــــدِ اسْتَعْصَـــــى



سَراب

يحسب الظمآنُ السرابَ ماء حين يبرّحه العطش،

فكيف بمن مُنِع حتّى هذا السراب!؟

مُغَلَّقَـــــــــةٌ بأَوْجُهِنـــــــــا الرِحَـــــــابُ

وقَـــــدْ شَـــــابَ الشَّـــــبِيبَةُ والشَّـــــبابُ

لأَحْـــــــلامٍ نَعِــــــيشُ فـــــلا نَرَاهُـــــــا

ويَكْفِينـــــا مِـــــنَ الحُلْـــــمِ السَّـــــرابُ[٧]

[٧] ورد هذا البيت فـي قصيدة «كثُرَ الأَنين» من هذا الدِّيوان.



ذاكَ مِنْ وَجَعي

فليُعْذَر الشاكي إن فاضَ به الألـمُ وتواترت عليه الهموم والبلايا، فما عتبُه إلّا لاستنطاق مواساةٍ يراها فـي قلوب الـمحبّين والبارّين.

حُزْنـــي كِتـــابٌ وَالنَّــوَى قَلَمـــي

أَتْلُـــو علَيْـــهِ قِصَّـــةَ الأَلَـــمِ

يُسْـــقَى فُـــؤَادي حَـــرَّ دَمْعَتِـــهِ

وأَرَى كِيانـــــي وَارِفَ السَّـــــقَمِ

فَـــإِذا شَـــكَوْتُ فَـــذاكَ مِـــنْ وَجَعـــي

وإذا عَتَبْـــتُ فَـــذاكَ مِـــنْ عَشَـــمي



علىَ أوْجَاعِنَا رَقَدُوا



سنواتٌ عجاف أكلت زهرَ بلادي، وعَفّرت وجهها، فأرهقت البشر والحجر.

مَرَّتْ سُنُونٌ عَلَى أَوْجَاعِنَا رَقَدُوا ... وضَاجَعُوا الشرَّ، بَلْ مِنْهُمْ لَهُ وَلَدُ

ما غَادَرُوْا مَوْضِعًا إلاَّ وكَانَ لَهُمْ ... بَيْنَ الخَلائِقِ أَحْبَابٌ لَنَا فُقِدُوا

عَاثَ البُغَاةُ بأَرْضِ الطُّهْرِ واجْتَرَحُوا ... مِنَ المَفَاسِدِ مَا لم يَجْتَرِحْ أَحَدُ

في أَيِّ وَحْلٍ نَما أَرْبَابُ نِعْمَتِهِمْ ... وأَيُّ رَحْمٍ خَبِيْثٍ مِنْهُ قَدْ وُلِدُوا؟

وأَيُّ مُرْضِعَةٍ في ثَدْيِها نَتَنٌ ... أَوَتْ إلَيْهِمْ، على أَفْخَاذِها احْتَشَدُوا

من ذا يُسَرُّ بسَفْكٍ للدِّماءِ سِوَى ... سَلِيْلِ قَوْمٍ عَلَى الأَشْلاءِ قَدْ صَعِدُوا



مَتَى يُشْرِقُ العَدْلُ؟

كم هو وقعُ الظلم ثقيل على النفوس الحرّة! وكم هي شمسُ العدل كالـماء الزّلال على قلوب الـمظلومين والـمُسْتَضْعفين!

الظُّلْمُ أَجَّجَ حُرْقَتِي ومَوَاجِعي

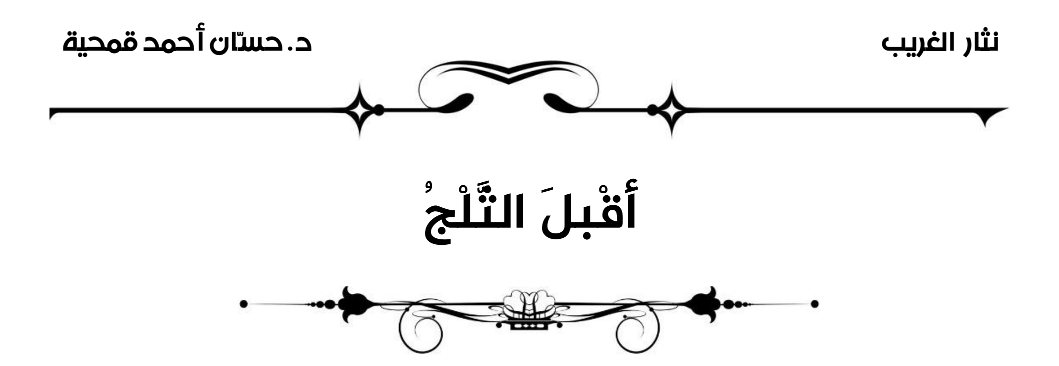
فمَتَى شُمُوسُ العَدْلِ فِينا تُشْرِقُ؟

في داخِلي بُرْكانُ غَيْظٍ كامِنٍ

مِن فَيْحِه أَرْكانُ رُوحِي تُحْرَقُ

«أَيَظَلُّ فِكْري حائِرًا لا يَهْتَدي

ويَظَلُّ قَلْبي صامِتًا لا يَنْطِقُ؟»



أقْبلَ الثَّلْجُ

كان الثلجُ مبعثَ فرح وسرور حينما كان الدفءُ رفيقَ الناظرين، فبات نذيرَ شقاء وألـم وموت.

وأَقْبَـلَ الثَّلْجُ مَشْـفُوعًا بأَظْفَـارِ
فـأَدْبَرَ الـدِّفْءُ عَـنْ أَهْـلي وعَـنْ دَارِي
مَـرَّتْ سُـنُونٌ وصَـفْوُ العَـيْشِ غـادَرَهُمْ
ذَاقُـوا الـمَرارةَ مِـن أَهْـلٍ ومِـنْ جَـارِ
وهُـمْ إِذا يَطْلُبُـونَ الـعَـوْنَ مـن أَحَـدٍ
«كالـمُسْـتَجِيرِ مِـنَ الرَّمْضـاءِ بالنَّـارِ»



كسْـرَةُ الخاطِر

لا يستشعر آلامَ الآخرين ويستجيب لها إلّا أصحابُ النفوس الكريمة والقلوب الرحيمة والأرواح النقيّة.

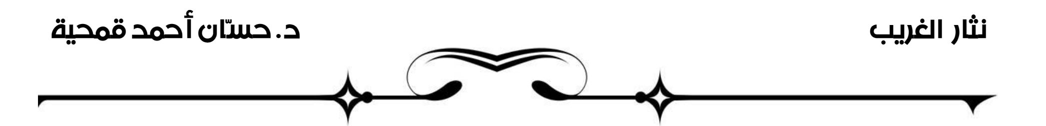
هَـــــذا الطَّريـــــقُ كَئِيــــبٌ، مـــــا لَـــــهُ آخِـــــرْ
إِنـــــِّي أَرَى فـــــي خُطـــــاهُ كَسْـــــرَةَ الخَـــــاطِرْ
هَـــــلْ فـــــي شُـــــقُوقِ الثَّـــــرى أَوْزارُ مَلْحَمَـــــةٍ؟
أَمْ دَمْعَـــــةٌ نَفَـــــرَتْ مِـــــنْ طَعْنَـــــةِ الغـــــادِرْ
أَمْ نَـــــوْحُ ثَكْـــــلَى تَخـــــالُ الأَرْضَ ظالـــــمَةً
مِـــــنْ بَعْـــــدِ أَنْ فَقْـــــدَتْ، فـــــي عَيْشِـــــها، النَّـــــاصِرْ



جَنَّةُ الدُّنْيا

مهما طغى على الشام الظلام، وعقّها الأباعد والأقارب، وطاف بها الخرابُ والدمار، تبقى جنّة من جِنان الله في أرضِه، ما دام عمودُ النور يرنو إليها.

مَـــنْ كـــانَ يَقْصِـــدُ فِي الجنَّـــاتِ مَنْزِلـــةً
فـــإِنَّما جنَّـــةُ الـــدُّنْيَا هـــيَ الشَّـــامُ



لا تَسَلْني عمّا يُؤرّق جُرْحي



«إذا ذرفَت السَّماءُ دمعةَ إشفاقِها على البشريَّة فالأجدرُ بتلك الدمعَة الشعبُ السُّوري».
الأديبةُ والشاعرة المهجريَّة سلوى سلامة (جَريدَة حمص، السنة الثالثة، العدد ٩، السَّبت ٣١ كانون الأوَّل/ ديسمبَر، ١٩١٢ م، ص ١٤٠).

آهـــــاتٌ خَلْــــفَ الآهـــــاتِ　　يـــا وطنًـــا مِـــنْ زمـــنٍ فائـــتْ
أَتْقَنْــــتَ حَـــديثَ الوَفَيَـــاتِ　　أَفَحَـــيٌّ؟ قُـــلْ لي! أم مائِــــتْ؟

***

فـــي صَـــمْتِكَ حِلْـــمٌ أم خَـــوَرٌ؟　　أَخْبِرْنـــي يـــا بلـــدَ النُّـــورِ
فنَحيبُـــكَ فـــي الأُفْـــقِ نَشِـــيجٌ　　يَخْنُقُـــهُ أَهـــلُ الـــدَّيْجورِ

***

والشـــــمسُ أَراهـــا غائِبَـــةً　　عـــن طَلْعـــةِ وَجْهـــكَ فـــي الفَجْـــرِ
أَجَفَتْـــكَ كأَبنـــاءِ الـــدُّنْيا؟　　أَمْ أَنْـــتَ الشَّـــمْسُ ولم نَـــدْرِ؟

***

فَتَّشْـــتُ طـــويلًا عـــن قَمَـــرٍ　　قـــد كنـــتُ أراهُ فـــي دارِكْ

أَتُـــــــراهُ أُطفِـــــــئَ مكتئبًـــــــا أم فـــــرَّ مِـــــنَ القَهْـــــرِ الحالِـــــكْ؟

***

بـــــي شَـــــوْقٌ يَجْتـــــاحُ نِـــــدائي عَرَّفْنـــــي كيـــــفَ أُطَفِّئُـــــهُ

فالنـــــارُ تُمـــــانِع إِخْمـــــادي ولَـــــهِيبي صُـــــلْبٌ مُرْجِئُـــــهُ

***

قـــــد طـــــالَ القهـــــرُ ولـــــم يَـــــتْرُكْ للقِسْـــــطِ طريقًـــــا يَغْشـــــاهُ

فَتَعـــــالَ لكَـــــيْ نَعْقِـــــدَ صُـــــلْحًا العـــــدلُ يَـــــراهُ ويَرْعـــــاهُ



جُرْحِي عَمِيق

ادَّعوا حُبَّه، فأشبعوه قتلًا وفتكًا؛ فتبًّا لمثل هذا الحبّ.

جُرْحِي عَمِيقٌ وما في الحَيِّ جَرَّاحُ   وفي بِلادِي شَياطِينٌ وأَتْراحُ

ما غادَرُوا فَنَنًا إلاَّ وقَدْ جَعَلُوا   أَلْوانَ خُضْرَتِه تَخْبُو وتَنْزاحُ

عاثُوا فَسَادًا بطُهْرِ الشَّامِ واجْتَرَحُوا   مِنَ المَفَاسِدِ ما يُعْيِيهِ إِيضاحُ

مِنْ أَيِّ شَرْعٍ أَتَوْا بالسَّيْفِ يَقْتُلُنا   وكَيْفَ تُسْفَكُ باسْمِ الدِّينِ أَرْواحُ؟

هذا زَمانٌ لغَيْرِ الصِّدْقِ غايتُهُ   فغَايَةُ النَّاسِ أَمْوَالٌ وأَرْباحُ

***

إنَّ الغَريبَ سَقِيمٌ دُونَ مَوْطِنِهِ   لا اللَّيْلُ لَيْلٌ، ولا الإِصْباحُ إِصْباحُ

يُسَامِرُ اللَّيْلَ عَلَّ اللَّيْلَ يُؤْنِسُهُ   ويَرْقُبُ الصُّبْحَ، هَلْ للصُّبْحِ مِفْتاحُ؟

***

وَضَعَتُ حُلْمِي على جُنْحٍ ليُوصِلَنِي   صَوْبَ الدِّيارِ فشَوْقُ الأَرْضِ ذَبَّاحُ

أَسْكَنْتُ رُوحِي معَ الأَشْعارِ أَنْظُمُها   وأَصْدَقُ الشِّعْرِ تِبْيَانٌ وإِفْصَاحُ



مَوْطِني الدَّافِئ

ما زالت الشامُ بوصلةَ الـمحبّين، ورياضَ الصالحين، ومأوى العلم والأدب والنور.

أُحبُّـــك مِـــلْءَ أَحْلامِـــي

وأَحْلامِـــي بِـــلا شَـــاطِئْ

وأَهْـــوَاك بِـــلا حَـــدٍّ

وقَلْبَـــي للهَـــوَى ظَـــامِئْ

إذا ضَـــيَّعْتُ عِنْوانـــي

فحُضْـــنُك مَـــوْطِنِي الـــدَّافِئ



صِدْقُ العَطاء

يبلغ العطاءُ أعلى سنامه، وأبلغ غايته عندما يأتـي على شدّة وضائقة.

الجُـــــودُ في زَمَـــــن الرَّخـــــاءِ سَـــــجِيَّةٌ
لكنَّــــــهُ عِنــــدَ الشَّـــــدائدِ أَصْـــــدقُ



لَوَاعِجُ اللَّيْل

أتنام النفوس الباكية؟ أينام الشوق الغامِر والحنين الطافـيّ؟ أينام الحلمُ الـمسافر!؟

اللَّيْـــــلُ يَصْـــــحبُ مَـــــنْ هاجَـــــتْ لَوِاعجُـــــه

كَيْـــــفَ الـــــمَنامُ إذا مـــــا ضَـــــيَّعَ السُّـــــبُلا!؟



تَنْتَظِرُ القُبُور

كُتبَ الرحيلُ على أهل هذه الأرض جميعهم، ولكلٍّ منا موعد آتٍ لن يُخلفَه، مهما علا أو دنا.

سَـــــــتُنْزَعُ مِنْــــــكَ أَسْــــــتارٌ ودُورُ
فمَـــــا يُجْـــدِي التَّعـــالِي والغُـــرُورُ
وتَحْـــــت الأَرْضِ مَـــــدْفُونٌ كِلانـــــا
غَنِـــــيٌّ في الـــــمَكاسِبِ أو فَقِـــــيرُ

***

يَـــــرُومُ الـــــمَرْءُ أَنْ يَحْظَـــــى بخُلْـــــدٍ
وتَحْـــــتَ الأَرْضِ تَنْتَظِـــــرُ القُبُـــــورُ
ومـــا جُعِـــلَ الخُلُـــودُ لِابْـــنِ أُنْثَـــى
وإِنْ طالَـــــتْ بـــــأَعْمارٍ دُهُـــــورُ

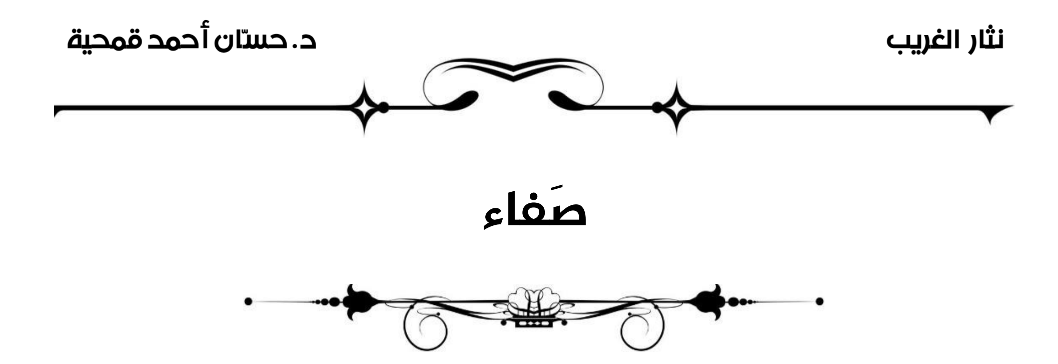


شَوْقُ الظَّما



تَسلّل إلى قلبها ولم تدرِ، فلم تَعُدْ ترى غيره، تصطنع سببًا للقائه؛ إن تكلّم فحديثُه عندَها أجمل الحديث، وأنفاسُه روح الياسمين، بوجوده تضيء الأماكن، وفي غيابه تطغى العتمة؛ لم تجد لما أصابها في كلّ ذلك وصفًا، وغابت عنها كلّ المعاني، إلّا أنّها أحبّته، ومرّت السنون وهو باقٍ في قلبها لا يغيب، لا يخفق إلّا لذكراه ولا ينثني إلّا شوقًا إليه، وها هي تقول:

كالـــــماءِ أَنْـــــتَ تَشُـــوقُني شَـــوْقَ الظَّـــما
وَالــــــماءُ عِنْـــــدِي وافِـــــرٌ مَبْـــــذُولُ



صَفاء

ليس هناك أجمل من الصفاء لعيش الـمرء، بعيدًا عن هذا العالـم الـمضطرب بضجيجه واحتياله ونفاقه.

إِذا مــــــــا الـــــــــنَّفْسُ خالَطَهــــــــــا

فُــــــــــؤَادٌ عــــــــاطِفٌ قانِـــــــــــي

سَـــــــــقاها اللهُ مِـــــــــنْ عَـــــــيْشٍ

كَــــــــريمٍ رائِـــــــــقٍ هانِـــــــــي



حَنينٌ واحْتِراق

تَجلّدْ أيّها الشوق، واصبرْ أيّها الحنين، وكفّي يا دموع، واصمد يا فؤاد، فقد أرّق السهادُ العيون، وشفّ البعاد القلوب.

يُعاوِدُنِــــي حَنِينِــــي واشــــتِياقي إلى وَطَــــنٍ يُغــــادِرُهُ رِفــــاقِي

فـــأَلْقَى مِـــن عُيُونِـــي حَـــرَّ دَمْـــعٍ وأَلْقَـــى مِـــنْ فُـــؤَادِي مـــا أُلاقِـــي

وأَجْنـــي فـــي اللَّيـــالي طُـــولَ سُـــهْدٍ كأنِّـــي فـــي سَـــعيرٍ واحْـــتِراقِ



جِراحُ العُمْرِ

أَمَا من فسحة للبسمة؟ أما من عارضٍ للأمل؟ أَما من بارقٍ للحلم؟ ألـم يشبع القهر من قضم أعمارنا؟

يــا نــاثِرَ البَســماتِ عنــدَ لِقائِنــا   هَــلَّا حَضَــرْتَ فَجَمْعُنــا يَتَأَلَّــمُ
يَقْتــاتُ مِــنْ وَجَــعِ النُّفــوسِ حَـديثُنا   وكــأَنَّ إِتْيَــانَ السُّــرورِ مُــحَرَّمُ
ضَــمِّدْ جِــراحَ العُمْــرِ قبــلَ فَواتِــهِ   إِنْ يَبْــقَ هــذا الجُـرْحُ كَيْـفَ سَـنَحْلُمُ؟

***

فــي كــلِّ شِــبْرٍ مِــنْ سَــحابَةِ عَيْشِــنا   تِيــهٌ نُقــاسي أو دُخَــانٌ يُــزْكِمُ
مَعْجُونَــةٌ بِــالحَيْفِ قِصَّــةُ عُمْرِنــا   بــالله كَيْــفَ يَعــيشُ مَــنْ لا يُكْــرَمُ
نَلْقَــى مِــنَ الأَيَّــامِ فَــيْضَ مَوَاجِــعٍ   أَحْلامُنــا فَــوْقَ الــمَآسي تُرْسَــمُ
يَبْكــي صَــغيرُ الــدَّارِ مِــلْءَ فُــؤادِهِ   والأُمُّ تَبْكــي والعُيُــونُ تُــتَمْتِمُ
مــاذا تَبَقَّــى مِــنْ رَصــيدِ شَــقائِنا   لَــمْ يَبْــقَ إِلَّا بَيْتنــا الــمُتَهَدِّمُ

***

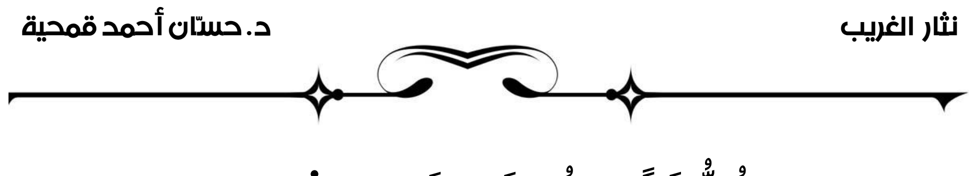
كــلُّ الــمَذاهِبِ لا يُعــادَى أَهْلُهــا   إِلَّا فَتًــى نــادَى بِأَنِّــي مُسْــلِمُ
القَهْــرُ يَغْــزِلُ فــي الصُّــدورِ نَسيجَهُ   ورَصــيدُهُ السُّــقْمُ الثّقيــلُ الــمُجْرِمُ



في اللَّيْل

قالت له: عندما يخيّم عليك الليل أرجو ألّا تبوحَ بما تعاهدنا عليه، لا تقلْ له إنّ دموعي قد بلّلت الوسادةَ شوقًا لك، وإنّ الغيرةَ التي اجتاحتني جعلتني أختار أن أغادرَك إلى غير رجعة، وإنّ عودتي إليه كانت بلحظة شوق لجوجة لا أكثر، لا تُخْبره أنّي أعاتب طيفك كلّ ليلة، ولا تنشر عليه الأحاديثَ الطوال المليئة بما كنت أقوله لك عن كلّ كبيرة وصغيرة تمرّان بي، لا تقلْ له إنّك سرّ فرحي وحزني، وغيظي وانفراجي؛ واعلم أيّها الليل أنّه عندَ اللقاء به سيذوب الكلام ويسود الصمت، وسيغني ذلك الحضن عن كلّ أبجديّة.

وفـــي اللَّيْــلِ يَحْكــي كُــلُّ وَجْــدٍ هُمومَــهُ
وفــي اللَّيْــلِ - حــينَ الصِّــدْقِ - تَبْــدو الرَّوائِــعُ



كُلُّ نَوًى دُونَ الحَبيبِ ثقيل



الوصالُ طيرٌ أبيض لا حدودَ لفضائه، ولا أفقَ لخياله.

تُكِـــنّ لِـــَي الـــوِدَّ القَـــديمَ غَمامَـــةٌ لَـــها فـــي فُـــؤادي مَنْـــزِلٌ وحُلُـــولُ

إِذا أَقْبَلَـــتْ أَلْقَـــى الحَيَـــاةَ جَميلَـــةً وإِنْ أَدْبَـــرَتْ مـــا عـــادَ فِيهـــا جَميـــلُ

يُباعِدُنـــي عَنْهـــا نَـــوًى لا أُطِيقُـــهُ وكُـــلُّ نَـــوًى عَـــنِ الحَبيـــبِ ثَقيـــلُ

هِـــيَ الغـــادَةُ الحَسْـــناءُ يُرْجَـــى بَوْحُهـــا ولِـــي فـــي حَـــديثِ العاشِـــقينَ فُضُـــولُ

***

يَميـــلُ الـــوَرَى إِلـــى أَمـــانٍ كَثـــيرةٍ وَقَلْبـــي إِلى وَصْـــلِ الحَبيـــبِ يَميـــلُ

أَراهُ فيَنْمُـــو فـــي الفُـــؤادِ حَريقُـــهُ وَيَغْلـــي مِـــنَ الأَشْـــواقِ صَـــبٌّ عَجُـــولُ

أَحِـــنُّ إِلى قُـــرْبٍ أَطـــيرُ لأَجْلِـــهِ عـــلى جُـــنْحِ نَسْـــماتِ الهَـــوَى وأَجُـــولُ



تَلاقِي القُلُوب

أحبّته شاعرًا، هامت به، فادّخرت كلّ إحساس لتزفَّه له؛ ولكنّها عندَ لقائه صمتت، تمنّت بَيْتَيْ شِعْر لترى نفسها فيهما، وما علمت أنّ تلاقي القلوب سيفجّر نهرًا دافقًا يَسْتقي من عطر البيان وأروعه، وعندئذٍ حلّقت روحُها فرحًا وابتهاجًا إلى أن عانقت كبدَ السماء.

إنَّ القُلُـــــــوبَ إذا تَلاقَـــــــــى ودُّهـــــــا

عَزفَـــــتْ عـــــلى نَفْـــسِ الـــــمَقامِ نَشـــيدًا

فـــــي قُرْبِهـــــا يَحْلـــــو الكَـــــلامُ لشـــــاعرٍ

فيَكُـــــونُ فـــــي نَظْـــــمِ القَصـــــيدِ فَريـــــدا



شَهْرٌ مِنَ اللّه

شهرٌ فرضة الله تعالى فـي كلّ سنة تطهيرًا للنفوس والأبدان، ففي رمضان يتجلّى الله على عباده أيّما تجلٍّ ليقول لهم [كلّ عملِ ابن آدم له إلّا الصوم فإنّه لي، وأنا أَجْزي به].

شَـــــهْرُ الصِّــــيَامِ مَناقِـــــبٌ ومَكـــــارمٌ

مَـــــنْ نَالَهــــا بجَنَـــــى الجِنــــانِ ســــيُرْزَقُ

شَــــــهْرٌ مِــــــنَ اللهِ سَــــما في عامِنــــا

فتَجمَّعُـــــوا مِــــــنْ حَوْلــــــهِ وتَحلَّقُــــــوا



شاقَهُ السَّفَرُ

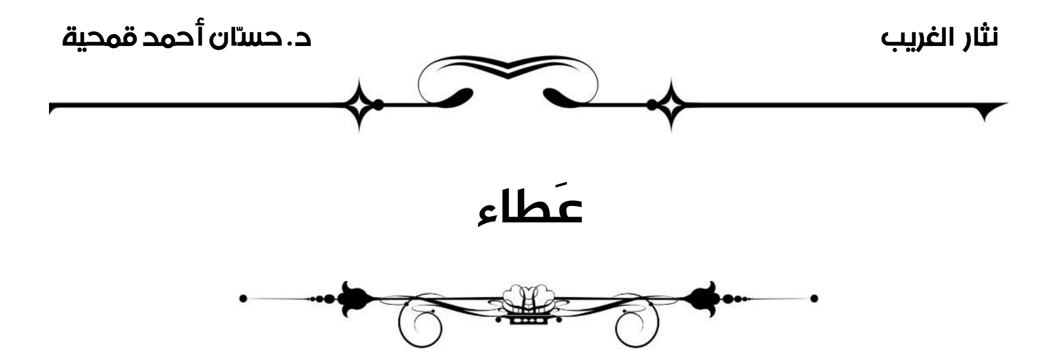
أيّ زائرٍ جميل أنتَ يا شهرَ الله، أي ضيفٍ عزيز يا شهرَ الصيام، هل كُتِبَ على النور أن يرحلَ ولا يقيم، كي يبقى الشوقُ إليه عارمًا حتّى يعود.

أَراحِـــــــلٌ أَنْـــــــتَ والأَشْـــــــوَاقُ تَسْتَـــــــعِرُ؟
يـــــا خَيْـــــرَ زَادٍ إِذا مـــــا الـعُـمْـــــرُ يُـحْـتَـضَـــــرُ

أَراحِـــــــلٌ أَنْـــــــتَ والآجَـــــــالُ تُـدْرِكُـنَـــــا
كُـــــلٌّ عَـلَـــــى سَـــفَـــــرٍ، نَـــــاسٍ ومُـدَّكِـــــرُ

هَـــــلاَّ أَطَـلْـــــتَ مُـقَـامًـــــا فـــــي مَـرابِـعِـنَـــــا
إنَّ الأَحِبَّـــــــةَ أَنْسَـــــــامٌ إِذا حَـضَـــــــرُوا

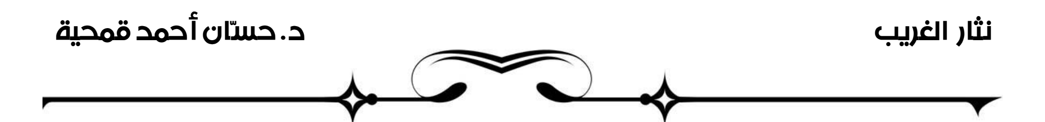
شَـــــهْرُ الصِّـــــيامِ حَبِيـــــبٌ آبَ مِـــــنْ سَـــفَرٍ
يَمْضِـــــي عـــــلى عَجَـــــلٍ إِذْ شـــــاقَهُ السَّـــــفَرُ



عَطاء

صدق من قال: «أَسْعدُ الناسِ مَنْ أَسْعدَ الناسَ»؛ فالعطاءُ يَرْتقي بالنفوس الطيّبة ويَهبُها السكينةَ والطمأنينة، ويَمْضي بها في مسالك الزهد والأَثَرة. وحتّى يبقى وينمو ما نفتقده في الآخرين ينبغي أن نقدِّمَه لهم.

أَشْعَلتُ شُموعًا بِجِوَاري
فتَمَدَّدَ ظِلِّي لِلآخِرْ
مَنْ يُوقِد ضَوْءًا للسَّاري
كَمْ يَكْبُر في عَيْنِ النَّاظِرْ!



جَنَّاتُ ربِّي بالعَزائِم تُشْتَرى



إنّ لله عبادًا حازوا همًما راسخة تسعى فـي طريق الاستقامة والإنابة، وعاؤهم الصبرُ والـمثابرة، ونورُهم التفاؤل والعطاء، أحبّوا خالقَهم فأَدْلجوا راجين بلوغَ الـمنزل، ورضوا أن يشتروا سلعةَ الله الغالية، جنّةً عرضها السماوات والأرض.

قَـــدْ شـــاءَ ربـــــِّي مــــا يَشَـــاءُ وقَـــدَّرا

فاحْــــــذَرْ - رَعَـــــاكَ اللهُ - أَنْ تَتَكـــــدَّرا

واعْمَـــــلْ ليَـــوْمٍ قَـــدْ نُبِئْـــتَ قُدُومَـــهُ

جَنَّـــــاتُ ربِّـــــي بـــــالعَزائِمِ تُشْـــتَرى

لا تَلْتَفِـــــتْ لعُـــــرَى الضَّـــــلالِ وأَهْلِـــهِ

كُـــنْ سَـــالِكًا دَرْبَ الهُـــدَى ... كُـــنْ مُبْصِـــرا

كَـــمْ أَزْهَـــرَ الـــدَّرْبُ القَـــويمُ بأَهْلِـــهِ!

وبغَـــيْرِهِ - يـــا صَـــاحِبِي - مـــا أَزْهَـــرَا



عَزْفٌ بائِس

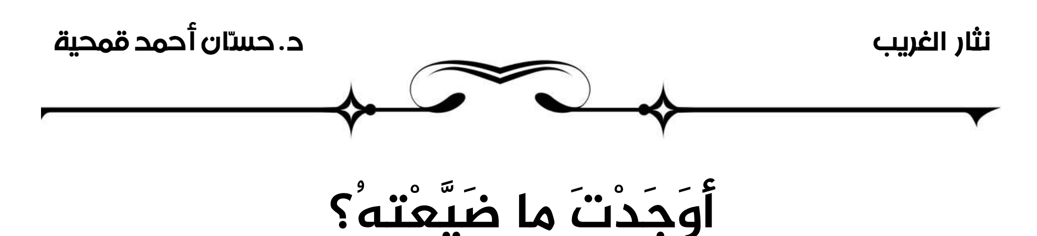
فـي زمن الظلم والظلام، يكثر دعاةُ الباطل، ويُناوَأُ أهل الحقّ ويُضارُّون، كأنّهم قابضون على قطعةٍ من جَمْر.

لــــــحْنُ الحَيـــــاةِ اليَـــــوْمَ عَـــــزْفٌ بـــــائِسٌ

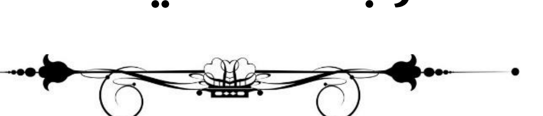
نَغَـــــمٌ نَشَـــــاذٌ لا يَـــــرُوقُ لنَـــــاظِمِ

أَدْمَـــــى الحُقُـــــوقَ تَـــــدافُعٌ فـــــي باطِـــــلٍ

مَـــــنْ ذا يُطِـــــيحُ بِبَطْشِـــــهِ الـمُتراكِـــــمِ؟



أوَجَدْتَ ما ضَيَّعْتهُ؟



معذرةً أيّها القلبُ العامر بالأسى والشوق والحنين، كلّ محاولاتِ ثَنْيِك عن الالتفات إلى مَنْ غادرتهم باءت بالإخفاق، فمن تشتاق إليهم ليسوا قطعةً منك، بل هم كيانك كلّه.

يـــا أَيُّهَــــا القَلْـــــبُ الـــــمُحَمَّلُ بالأَسَــــى

هَـــــلْ تَكْـــــتُمُ العَـــــيْنُ الـــــذي حُـــــمِّلْتَهُ؟

كَيْـــــفَ الرُّبُـــــوعُ تَرَكْتَهَـــــا وهَجَرْتَهَـــــا؟

قُـــــلْ لـــــي إذًا: أَوَجَـــــدْتَ مـــــا ضَـــــيَّعْتَهُ؟



يا لِلْحَنين!

كلّما طال عمرُ الحنين ازداد شبابًا واتّقادًا، تشيخ القلوبُ ولا يشيخ، ويهرم الجسد ولا يهرم، ويرحل الناسُ ولا يرحل. صدق من قال: «إنّه غصّة تأتـي فـي غير أوانها».

يــــــا لَيالـــــــي خُـــــــطَّ هَـــــــمِّي
فــــــــي تَضـــــــــاعيفِ الجَبـــــــــينِ
طـــــالَ بُعْـــــدِي عَـــــنْ دِيَـــــارِي
صــــــارَ وِزْرًا مِـــــــــنْ سِـــــــــنينِ
لَــــــــمْلِمِي شَــــــوْقي فإنِّــــــــي
مُثْقَـــــــلٌ، يـــــا لِلْحَنــــــــينِ!



يا قُـدْس

ستبقى القُدسُ فيصلَ أهل الحقّ، ووجهةَ عباد الله
الـمُخْلَصين، عروسَ الـمدائن، ربّةَ الحُسْن.

حَـــــــــــرِيٌّ أَنْ تُـدانِـيـنـــــــــــــــي
فَعِـنْـــــــــدي تُشْـــــــرِقُ الـــــــنَّفْسُ
وتَسْـــــــــمَعَ هَمْـــــــسَ أَحْزانِـــــــــي
فَحُزنـــــــــــــي للـــــــــــــوَرى دَرْسُ
أَمَـــــاطَ الحُسْـــــنُ عَـــــنْ وَجْـــــهِي
فـمَـــــــاذا بَعْـــــــدُ يَـــــا قُـــــدْسُ؟



مَتَى نَصْحُو؟

هَلْ من صحوةٍ قبلَ الفوات!؟ يا أمّةً كانت منارةَ العالـم، لنُبْرِئَ جِراحَنا ويلتئم شملُنا من جديد.

مَتْـــــى نَصْـــــحُو فَـــــلا نَبْقَـــــى شَـــــتاتًا
ونَغْـــــدُو فـــــي اتِّفـــــاقٍ وارْتِفـــــاقِ؟
فَـــــإنَّ الجُـــــرْحَ لا يَـــــبْرَا بِمِلْـــــحٍ
وإنَّ النَّـــــزْفَ مِـــــنْ أَثَـــــرِ الشِّـــــقَاقِ



مَعَ اللَّيْل

لا يزال سكونُ الليل أنيسَ النفوس المتعبة، الهاربة من ضجيج الحياة وصخب الآخرين، إنّه حضنُ المناجاة. ولا ضيرَ أن يكون المرءُ وحيدًا، قليلَ الصخب، هادئًا ساهرًا كالليل الطويل.

مـــــا لـــــــي مَـــــعَ اللَّيْـــــــلِ جَفـــــاءُ

حَوْلـــــــــي نُجـــــــــومٌ أَصْـــــــــدِقاءُ

فـــــــي ظِلِّـــــــه أَلْقَـــــــى وَفـــــــاءً

حَسْـــــــبي مِـــــــنَ الخِـــــــلِّ الوَفـــــــاءُ

أَطْـــــــوِي بـــــــهِ أَسْرارَ نَفْسِـــــــي

والسِّـــــــرُّ يَحْميـــــــهِ الخَفـــــــاءُ



حَيَاةُ الكِرام

يَشْغلون منازلَ رفيعة في القلوب، وتعمر المجالسُ بذِكْرهم، أولئك هم أهلُ الكرم والعطاء.

حَيـــــاةُ الكِــــــرامِ شُـــــــموخٌ وَجُــــــود

لهـــــــذا أُحِـــــــبُّ حيــــــاةَ الكِـــــــرام



حَيَاةُ الشَّريف

حياةٌ بلا نبل ورفعة خيرٌ منها الـمَمات.

يَسْـــــمو الشَّـــــريفُ بفِعْلِــــــه ووَفائِـــــهِ

ويَطـــــالُ نَجْـــــمًا مُـــــوغِلًا بضِـــــيَائِهِ

ويَـــرَى الوَضـــيعُ مَقامَـــهُ قُـــرْبَ الثَّـــرَى

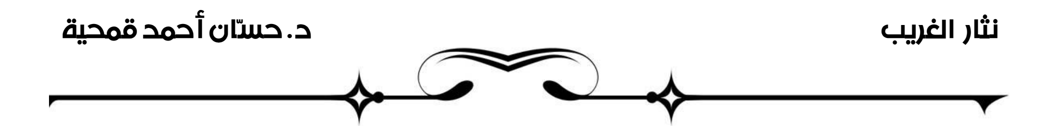
فوُجُـــــودُهُ كَـــــلٌّ عـــــلى أَبْنائِـــــهِ



أنْسُ الوصَال

كم هو مُتعِب ومُحزِن جفاءُ مَنْ نحبّ! فالحياة تغدو بوصل مَنْ لهم في القلب منزلةٌ قصرًا مشيدًا، وهي من دونهم كالأرض اليابسة.

لَـــوْ ضَـــنَّ بالوَصْـــلِ مَـــنْ نَرْجُـــو مَـــوَدَّتَهُمْ
لأَصْـــــــبَحَ العَـــــيْشُ أَوْزارًا وإِرْهاقـــــا



فـي الليل تَصْفو شَوائبي



أنيسٌ هو الليلُ لِـمَن رام الهدوء، وعفّ عن الضجيج.

إذا طـــالَ لَـــيلي لا أَمَـــلُّ بقـــاءَهُ ولكنّنـي فـي الليـلِ تَصْـفو شَـوائبي
أَجــولُ بــأطرافِ الـدّواةِ وأَرْتَـوي مِـنَ الخافِيـاتِ الغُـرّ فـي صَـدْرِ كاتِـبِ
أُداعِبُهـا حتّـى تُسـيلَ يَراعَتـي فأَرْسـمُها مَمْلـوءةً بالعجائـبِ
وتخطـرُ فـي بالـي فَتـاةٌ حَبَبْتها وأَجْمـلُ حُـبٍّ مـا تَرَكْـتُ لغائـبِ



سَكِينَةُ أضْلُعِي

مهد الطفولة، رفيقة الصبا، سليلة الـمجد والغار، إليكِ يَؤزّني الحنينُ ويجتاحني الشوق، فمتى يكون اللقاء؟

ما كُنْتُ أَحْسبُها سَكِينةَ أَضْلُعِي حتَّى تَفَارَقَ حِضْنُها عَنْ مَضْجَعِي
كانَتْ تُعانِقُ دَمْعَتِي وصَبابَتِي أَشْكُو إلَيْها حُرْقَتِي وتَوَجُّعِي
كَمْ قاسَمَتْنِي في الحَياةِ مَوَاسِمًا! كَمْ شارَكَتْنِي فَرْحَتِي وتَلوُّعِي!

***

يا حِمْصُ يا سَكَنَ الفُؤادِ وأُنْسَهُ ناداكِ شَوْقي، يا حَبيبةُ، فَاسْمَعِي
هَلْ عَوْدةٌ قَبْلَ الرَّحيلِ فنَلْتَقِي أَشْفِي حَنيني مِنْ بَهاءِ الـمَطْلَعِ؟



هَمُّ عُمْري

على لسانِ كلِّ مُثقَلٍ بالهموم والأعباء.

عـــــلى ظَهْـــــري تَـــــراكَمَ هَـــــمُّ عُمْـــــري

فكَيْـــــفَ يُعينُنـــــي فـــــي العَـــــيْشِ ظَهْـــــري؟

وكَيْـــــفَ أُعـــــارِكُ الأيّـــــامَ وَحْـــــدي

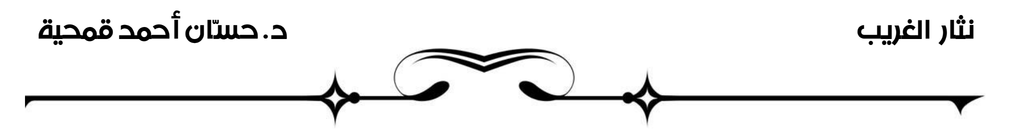
وفـــــي أَعْبائِهـــــا أَوْجَعْـــــتُ صَـــــدْري



حانَ الرَّحِيل

وطن الحرّ كرامتُه، أينما وجدها فهو أحقُّ بها، وأرضُ الله واسعة؛ ومن سعى وَصَل.

هَـــــذِي مَراتِـــــعُ للمُنـــــافِقِ والـــــذَّليلْ
لَـــمْلِمْ جِراحَـــكَ يـــا أَخـــي .. حـــانَ الرَّحِيـــلْ
إنَّ الكَرامَـــــــــةَ في الحَيَـــــــاةِ قِـــــــلادَةٌ
لَمْ يَتَّشِـــــــــحْ بِجَلالِهـــــــا إلّا القَلِيـــــــــلْ

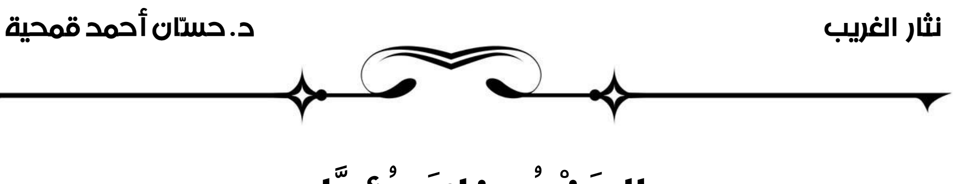


وما نَيْلُ السَّلامة بالرُّقاد

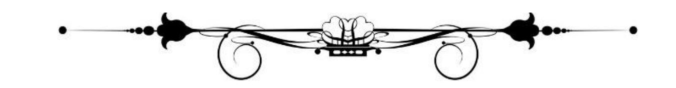


قال عليه الصلاة والسلام: [من خافَ أَدْلَج ومن أَدْلَجَ بلغَ الـمنزل، ألا إنَّ سلعةَ الله غالية، ألا إِنّ سلعةَ الله الجنّة].

تَنكَّـــــبَ عَـــــنْكمُ صَـــــوْتُ الرَّشــــادِ
فكَيْـــــفَ رَحــــيلكُمْ مِـــــنْ غَـــــيْرِ زادِ؟
نِيَــــامٌ بَـــــيْنَ أَحْضَـــــانِ الأَمانــــــي
ومـــــا نَيْـــــلُ السَّـــــلامةِ بالرُّقـــــادِ
ومـــــا دَرْبُ الجِنــــانِ طَريــــقَ لَهْــــوٍ
وأَحْلامًـــــا تَـــــؤُوبُ إلى الفســـــادِ
هِـــيَ الأَقْـــدارُ تُنْصِـــفُ مَـــنْ حَبَاهــــا
مَفــــاتِيحَ الهُـــــدَى والِاجْتِهـــــادِ



العَفْوُ مِنكَ مُؤمَّل



من للمذنبين الجانِحين سوى ربٍّ غفور رحيم، يعفو عن كثير، {وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا، وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}، وينادي جلَّ وعلا إلى قيام الساعة {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}.

أَنــــا مُـــــذنِبٌ والعَفْــــوُ مِنْـــــكَ مُؤَمَّـــــلُ
كيـــــفَ السَّـــــبيلُ إلى رِضـــــائكَ يَحْصـــــلُ؟
أَفَكلَّـــــما نــــــادَيْتَني وغَفـــــرْتَ لـــــــي
عـــــاوَدْتُ ذَنْبِـــــي شـــــارِدًا لا أَعْقِـــــلُ؟
لكـــــنَّ لـــــي بجميــــلِ قَوْلــــكَ مَخْرَجًـــــا:
إنّي قَريـــــبٌ يــــــا عِبـــــادي فاسْـــــأَلُوا

الفهرس

مقدّمة	5
أعْلَنتُ شَوْقي	9
مِحْرابــي	11
قَوافِلُ الحُزن	12
لَوْعَةٌ وانـكِسار	14
فــي خيالــي	16
الصَّمْتُ من بعض الفُنون	18
مُنْتَهى دَرْب الحَياة	20
بَلِّغُوه	22
يا عاشِقًا	23
أمْضــي حالِــمًا	24
لَذَّة الأَحْزان	25
إذا يَمَّمَتَ قَلْبي	26
لَيْلُ وأحْلام	28
مَوْجوعُ وَطَني يا أبتي	29
انْهَال الشَّقاءُ على بلادي	31
حَدِّثوني عَنْ بلادِي	32
سَبَرْتُ مَشاعِري	33
لا أريدُك	34
عَيْشــي بالضَّنَى يُوطَأ	35
أنَـتْظِرُ الصَّباح؟	37

وَعْدُ الوَصْل لاح	38
نـكْران	40
شُجونُ الفِراق	41
عَفافِـي يَمْنعُني	43
سِحْرُ العَذارى	45
جَنّةٌ لَمْ تزرْ	47
صِرْتُ شَخصًا مُطْمئِنا	48
عَهْدي أنّكَ الفَظّ	49
تُناديني الأسيرَة	50
على جُنْح الرَّدَى	52
يا وَيْحَ الحِسان	54
الأيَّامُ حُبْلَى بالدَّوَاهِي	56
تَطَهَّرْ مِنْ ظَمَأ	57
ثمّةَ نُور	58
لَوْحَةٌ ثَلْجيَّة	59
أما للعاشِقِينَ لَدَيْكَ جُنحُ؟	61
أنت يا قَدْسُ أوْلَـى بالـمَسير	63
لكِنْ تَؤُوب	65
كيفَ لـي أنْ أخاصِم!؟	66
أغْلَقْتُ بابي	68
ضَيْفٌ بلا دَعْوَة: الهَرمُ ضَيْفٌ ثقيل	69
أسْوارُ الـمَساء	71

تأمّلات: ماذا لَدَيْك؟	75
بَيْن الكلِماتِ أرَى سَعْدي	78
تُساوي حَياتِـي	79
قَلْبي قَدْ قَسا	82
مَجْدُ النُّجوم	83
وَقْعُ الكسْـر في الأيَّام مُرّ	84
لَهْفي علَيْك	85
مِنَ الشَّهْدِ أطْيَب	86
ما ألْفَيْتُ خيْرًا مِنْ بلادي	87
حَديثُ عَبَرْ	88
سُوقُ العَار	89
سألْتُ دَفاتِرَ التاريخ	91
عَقيمُ حَظُّنا	93
مَتَى نُعانِقُ أرْضَنا!؟	94
أمَلُ يُعاودُني	96
عَيْناكِ	97
رَأيْتك	99
لَفْحُ مِنْ لَظَاها	100
مَلاكُ في السَّماء	101
لِـي في الغرام	102
رَواءُ اللِّقاء	104
بِـنْتُ الوَليد	105

القِبْلةُ الأولَى	107
بَوْحُ العَبير خَبَا	108
نبْتُ الدِّماء	110
ترَكْتُ حُشاشَـتِي	111
كثُرَ الأنين	112
يعيش غَريبًا	113
مَأسَاةُ وَطَن	114
ما بالُ عَيْني؟	115
الشَّامُ أنْوارُ النُّجُوم	116
لا تَبْتئِسْ	117
نورُ الشَّمْس آتٍ	118
لا يَبْقَى ثوْبُ جَديد	119
هذا النوْمُ مَقْرونٌ بعارِ	120
دَرْبُ بُؤس	122
نبْضُ الشَّدائِد	124
كانُوا صِغارًا	125
نبْضُ فُؤادِي	126
رِسَالةُ وَالدٍ لمُعَلِّم	127
أولُو العَزيمة	128
أنِينُ البعاد	129
أمّي	130
أبي	131

أتيتُكَ طائِعًا	132
دُعاءُ الأسْحار	133
لَسْـتُ بمُدَّعِي	134
يا إلهي	135
بُشْرَى العِيد	136
لَنا بالبَذْل أمْنيَة	137
رَبَّاه	138
أنِيسي في الحَياة	140
على شِعْر تَلاقَيْنا	141
يا عازفًا لَحْنَ الخُلود	142
كِتابُ الحَياة	143
أميرةُ الشُّهَداء	144
طَريقي للمَعالي	145
رَحيقُ الـمُقَل	146
إذا غَصَّ يَوْمي	147
ما أخْبَثَ عَيْشَ اللُّؤَماء!	148
أحْيَا على مَضَض	149
أحاديثُ مُخَبَّأة	150
أأوْجَعَكَ الفِراق؟	151
خِزْيٌ وخِذْلان	152
غَيْمٌ سَكُوب	153
نمْضِي بلا هَدَف	154

عُذْرًا يا جُرْحًا	155
سَراب	156
ذاكَ مِنْ وَجَعي	157
علىَ أوْجَاعِنَا رَقَدُوا	158
مَتَى يُشْرقُ العَدْل؟	159
أقْبلَ الثَّلْجُ	160
كسْـرَةُ الخاطِر	161
جنّةُ الدُّنيا	163
لا تَسَلْني عمّا يُؤرّق جُرْحي	164
جُرْحِي عَمِيق	165
مَوْطِني الدَّافِئ	166
صِدْقُ العَطاء	167
لوِاعجُ اللَّيْل	168
تَنْتظِرُ القُبُور	169
شَوْقُ الظَّما	170
صَفاء	171
حَنينُ واحْتِراق	172
جِراحُ العُمْر	173
في اللَّيْل	174
كُلُّ نَوًى دُونَ الحَبيبِ ثقيل	175
تلاقي القُلوب	176
شَهْرُ مِنَ الله	177

شاقَهُ السَّفَر	178
عَطاء	179
جَنَّاتُ ربِّي بالعَزائِم تُشْترى	180
عَزْفٌ بائِس	181
أوَجَدْتَ ما ضَيَّعْتَهُ؟	182
يا لِلْحَنين!	183
يا قُـدْس	184
مَتَى نَصْحُو؟	185
مَع اللَّيْل	186
حَياةُ الكِرام	187
حَيَاةُ الشَّريف	188
أنْسُ الوصال	189
فـي الليل تَصْفو شَوائبـي	190
سَكِينَةُ أضْلُعِي	191
هَمٌّ عُمْري	192
حانَ الرَّحِيل	193
وما نَيْلُ السَّلامة بالرُّقاد	194
العَفْوُ مِنكَ مُؤَمَّل	195

هناكَ، على ضِفافِ البُعْدِ أَغْفُو

ولكنْ كيفَ تَغْفُو عينُ شَوْقي!؟

أُسَكِّنُها فتَأْبى بي انْطِفاءً

وتَحْرقُني إلى أَعْماقِ عُمْقِ

يُغالِبُني الحَنينُ فأَصْطَفِيهِ اصْـ

ـطِفاءَ الخِلِّ في أيّامِ عِشْقِ

أَبُثُّ إلَيْهِ آهاتٍ بقَلْبي

فيَدْعُوني إلى نَوْحاتِ وُرْقِ

ويَسْأَلُني مَزيدًا مِنْ نُواحٍ

عَجيبٌ كَيْفَ يَدْعوني لِيُشْقي!







